

آية الله السيد محمد تقي المدرسي

الوجيز
في أصول العقائد
وأحكام التقليد والبلوغ

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على خير المرسلين
المصطفى محمد وآله الهداة المرضيين.

ويعد..

من أنا، من أين قدمت، وإلى أين أصير، ما هي مسؤوليتي تجاه نفسي
والآخرين؟ وعشرات من الأسئلة المصيرية تطرحها على الإنسان نفسه بين
الحين والآخر ولا يجد الإجابة الوافية إلا عندما يستمع الى منادي الوحي،
فإذا بفطرته تستجيب كما يستجيب الكبد الحرى لشربة ماء فرات.

وكلّما ازداد وعياً بآيات الذكر، وما فسرتها من أحاديث النبي وأهل بيته
عليه وعليهم السلام، كلّما ازداد عقله تفتحاً، وضميره سكينه، وروحه راحة.
وهكذا كانت نصوص الدين إثارات للعقل لكي يفتح على العقائد
الصحيحة، وتبهيها للضمير لكي يستيقظ.

وثمة سنة حسنة كانت لفقهاءنا السابقين، حيث كانوا يكتبون منظومة
من العقائد الإسلامية قبل بيان الفروع الفقهية في أحكام الشريعة، ونحن

بـنـجـري عـلى تـلك السـنة الحـسنة فـي هـذا الجـزء مـن سـلسـلة الـوجـيز فـي الفـقه
الإـسـلامـي الـذي يـحتـوي أـيضاً عـلى قـسـمـين أـسـاسـيين فـي الفـقه أـحـدـهـما؛ فـي
أـحـكـام الـبـلـوغ، والثـانـي؛ فـي الـاجـتـهـاد والتـقـليـد.
ونسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا الكتاب، وينفع به المؤلف والقارئ
معاً، ويجعل العمل بفروعه الفقهية مجزياً، ويثيب عليه أحسن الثواب في الدنيا
والآخرة، إنه سميع الدعاء.

محمد تقي المدرسي

طهران

٢١ / جمادى الثاني /

١٤٢٣

أصول العقائد

تمهيد

لماذا علينا أن ندرس العقائد ونؤمن بها عن وعي وبصيرة ومعرفة؟
لأن العقائد تبين مبدأ الإنسان ومصيره وخط سيره في الحياة الأولى
والآخرة، ومن لا يدرس العقائد ببصيرة، قد يحسب أنه على صراط النجاة،
بينما هو على طريق الشقاء في الدنيا وسبيل النار في الآخرة فيحسر نفسه في
الدارين، ومن هو أشقى ممن خسر نفسه في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى:
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف/١٠٣-١٠٤)

ولدراسة العقائد ثلاثة مناهج مختلفة:

١- منهج الفلسفة، ويعتمد على المنطق الأرسطي وفلسفة الاغريق
الإلهيين وعلم الكلام الإسلامي المقتبس منهما. ودراسة العقائد وفق هذا
المنهج استعارة ناشزة للقالب الفلسفي في عرض العقائد الإسلامية حيث
تتلوث بتصورات البشر الوثنية، بينما الإسلام مبدء حنفي جديد على
الإنسان، موحى إليه من الغيب، وله قالب يناسبه، وأي إقحام لمفاهيم
الفلسفة ومناهجها وألفاظها في بنائه الفكري يشوّه صبغته ويخل بتوازنه

ويقضي على وحدته العضوية الداخلية. وقد نعت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أول من قام بهذه المحاولة الخاطئة في المسلمين بأنه "سامري هذه الأمة" ^(١) لأنه بدل عبادة الله الأحد بعبادة التوهّمات الغريبة عندما أشاب نقاء الحنفية الإسلامية بوثنية الأغرقة المشركين.

٢- منهج التصوف، وينبثق هذا المنهج من الإغراق في التقشف، ويعتبر الإنسان رمز الشرور والخطيئات الذاتية، ويرى أن فناء الإنسان في غياهب العدم والسلبية هو المنهج الموصل الى الحقيقة. ونجد هذا التصور الخاطئ بارزاً في الفلسفة البرهمية والفلسفات الآسيوية البعيدة، وقد طرقت أبواب المسلمين في بداية القرن الثاني مع نشاط حركة الترجمة بين المسلمين.

وينكر هذا المنهج دور العقل في معرفة حقائق الكون، ويدعو الى السلبية ونبذ النظم الدينية والاكْتفاء بالصفاء الروحي الذي يتحول شيئاً فشيئاً الى الإنطواء واللامبالاة. والواقع: إن ابتعاد هذا المنهج عن روح الإسلام هو كبعث الإسلام عن روح الجاهلية. ^(٢)

٣- المنهج السليم في دراسة العقائد هو المنهج الذي يُستوحى من القرآن الحكيم ويقوم على أسس ثابتة من الفطرة السليمة والتميّزة عن دواعي الهوى والغضب. أما ميزات هذا المنهج القرآني فهي باختصار: إيقاظ الوعي، وإثارة العقل، والدعوة الى التدبر والتفكير، والتوجيه الى الانفتاح على الحياة لمعرفة أعماقها، وملامسة أغوارها ومخاطبة روحها النقية الخالصة. واسلوب الحديث في هذا المنهج: التذكرة والتنبيه والإبتعاد أبداً عن المرء والجدل والمكابرة على الحق.

وعلى المسلم أن يتبع هذا المنهج لمعرفة العقائد، لأن الإسلام لا يمكن فهمه إلا عبر الطريق الذي رسمه الباري عز وجل، فهو طريق قريب، واضح المعالم، بليغ البينات، منسجم الفطرة وضرورات الحياة.. ولذلك فإن منهجنا هنا، في عرض العقائد الإسلامية بايجاز، هو الاستلham من القرآن الحكيم ومن السنة الشريفة الشارحة له، دون ان نحاول التأويل في آيات الذكر أو خلطها برواسب الثقافات الغربية.

الفصل الأول: عن التوحيد

التوحيد في القرآن الكريم

لا تستطيع الخروج من ظلمة الشرك لو لم تخرج من سجن الذات، ومعتقل هوى النفس. وإذا أنعمت النظر لرأيت جذر كل كفر وشرك وعصيان، حب النفس وهوها؛ بل وحتى الذي يعبد الأصنام أو الطغاة فانما يعبد هواه في صورة الطغاة، وشهواته في هيكل الأصنام. فاذا خرجت من حب الذات، وتحديد ظلمات الهوى، فانك تنطلق في رحاب التوحيد باذن الله، بلا قيود وبلا حدود. وبوابتك الى معرفة التوحيد سورة الاخلاص، التي تختصر بصائر الوحي في معرفة الرب بوضع كلمات:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

بالرغم من أن كلمة "أحد" مشتقة من "واحد" كما قالوا، إلا أنها أبلغ دلالة على معنى الوجدانية، وأنه سبحانه لا نظير له ولا شريك، ولا أعضاء فيه ولا أجزاء، لا في الواقع ولا في العقل والوهم سبحانه، وليس معنى الأحد والواحد أنه واحد من اثنين، أو أنه نوع من الأنواع، كالا.. إنه الواحد بلا عدد، الأحد بلا مثل ولا شبه.

وتتجلى أحديّة الله في معرفة هيمنته الشاملة على كل شيء، وأنه الفعّال لما يريد، وأن له العبادة، وأن ما يُعبد من دونه ليس بشيء. ومن مظاهر أحديّة الله أنه "الصمد" وتشير الصمدية الى حقائق شتى تجمعها بصيرة واحدة، هي أن الله بلا أعضاء وأجزاء، ولا حالات تطرأ عليه سبحانه. وصفة الصمدية تتجلى أيضاً في أنه لم يلد ولم يولد، إذ الولادة دليل إضافة جزء إليه لم يكن فيه أو انفصال جزء منه كان فيه، والصمد الذي لا أجزاء له لا يتصور فيه زيادة (بالتولد) ولا نقيصة (بالإيلاد).

وإذا اهتمنا الى أن الله صمد لا جزء له، ولا تطور، ولا ولادة، فقد ارتفع الحجاب الأكبر الذي بيننا وبين الله، حجاب التشبيه الذي ينشأ من جهل الإنسان ونقص مداركه. فلأن الإنسان لا يرى إلا نفسه والمخلوقات، يقيس خالقه بنفسه طوراً، وبالكائنات أطواراً، غافلاً عن أن هذا القياس يتنافى والإعتقاد بالخالق أصلاً، إذ نقرأ في ختام سورة الاخلاص: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

أكبر شهادة

قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الانعام/ ١٩)

تتلاحق الأحداث، وتترى الظواهر، وتجري سفينة الحياة في بحر عال الموج، عاصف الريح، ولكن وراء تلك الظواهر أنظمة حكيمة تمسكها، والله من وراء

تلك الأنظمة يمسك زمامها ويوجهها؛ فالله هو غيب الكون - الذي لا يخلو منه مكان - وهو شاهدٌ على كل شيء، وحاضرٌ عند كل شيء، وكل شيء آية له، لأنه منه ومعهِ وإليه. فالله إذاً أكبر شهادة من أي شيء. إنه يدل على ذاته بذاته، ويدل على كل شيء؛ إنه يعطيك السمع والبصر والبصيرة، ويتجلى بآياته في مهرجان الحياة، حتى تعيش معه في كل لحظة ومع كل شيء. يبقى أنت الذي قد تغيب عن ربك (دون أن يغيب عنك)؛ إنه قريب المسافة، بينك وبينه لحظة الالتفات والتوجه. ولكي لا تغيب عنه، ولكي تتكامل ذاتك الى مستوى العيش مع ربك، أرسل الله الأنبياء وزودهم بالكتاب لينذكرك، لأن الانذار أقرب الطرق الى قلب البشر.

آيات التوحيد

قال الله سبحانه: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/١٦٣-١٦٤).

إن هذه الآيات تدعونا الى التوجه الى الله وحده، ونبذ الأنداد من دونه. وهذه الدعوة تتصل بفطرة الانسان الراسخة في حب من أحسن إليه، ومن أعظم إحساناً علينا من الله سبحانه؟

ولكي يكرس القرآن الكريم هذه الفكرة، يوجهنا الى فطرتنا، ويأمرنا بالنظر الى آيات الله في السماء والأرض، خصوصاً تلك التي تعكس رحمة

الله الواسعة والمستمرة، من اختلاف الليل والنهار، وجريان الفلك في البحر، ونزول الماء من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها، وبث الدواب فيها، وتصريف الرياح، وتسخير السحاب .. و.. إن هذه الآيات ومئات غيرها تدل بوضوح على وحدانية الله عز وجل.

إله واحد

وقال الله عز وجل: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (النحل/٥١-٥٢)

الكافر يخضع لما هو خاضع لله؛ يخضع للشمس والقمر والنجوم، يخضع للأتوار والأشجار والأحجار، يخضع للثروة والقوة والدعاية. كلا، لماذا يرهب الإنسان جانب الطبيعة حتى يعبدها من دون الله، ولماذا يرهب الطاغوت حتى يستسلم له؟

إن أكثر ما تتم العبادة من جانب البشر للأشياء، إنما تتم بسبب الهيبة والرهبنة، ألا فلتسقط هيبة الطبيعة، ألا فلنرهب ربها وخالقها فقط. وإذا تجاوزنا الخشية من الطبيعة، وتحررنا من رهبتها، أسلمنا الوجوه لرب العالمين، وخضعنا لحاكميته وسيادته القانونية وحده، وبالتالي لدينه الخالص.

كمال التوحيد

قال الله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا

قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ (المتحفة/٤)

لا يكتمل إيمان العبد بربه الأحد إلا إذا تبرأ من كل ما هو دون الله، فنبت
عبادة ما سوى الله، ورفض الخضوع لكل من يكفر بالله. فالتوحيد يكتمل
بالكفر بالجبوت والطاغوت..

فقد كان النبي إبراهيم عليه السلام يتيماً يحتاج إلى الحماية الاجتماعية
والاقتصادية، ولكنه لم يخضع لعمه آزر الذي كان يعبد الأصنام، طمعاً في
توفير تلك الحماية، بل مضى قدماً على نهجه الحنيف في التمسك بالتوحيد
ورفض ما سوى الله سبحانه. فلم يتخذ الكفار اعتماداً على عمه ولا على
قومه، بل تحدى قومه بدءاً من عمه، وتحدى كل الشرك بدءاً من قومه،
فأصبح أسوة المؤمنين في تكميل إيمانهم بالله وتوحيدهم له برفض كل ما
سواه. (٣)

التوحيد في السنة الشريفة

حق معرفة الله

كيف تتحقق معرفتنا لله عز وجل؟ وكيف تكون معرفتنا حق المعرفة؟
ومتى يكون توحيدنا لله سبحانه خالصاً من كل شائبة؟ لنستمع إلى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يجيب على من سأله قائلاً:
ما رأس العلم؟ فقال رسول الله: معرفة الله حق معرفته. قال السائل: وما
حق معرفته؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: "أن تعرفه بلا مثال ولا شبه،

وتعرفه إلهاً واحداً خالقاً قادراً أولاً وآخرراً وظاهراً وباطناً، لا كفو له ولا مثل له. فذاك معرفة الله حق معرفته". (٤)

أدعو الى الله

في كل تطورات الحياة وتقلباتها يلمس الإنسان بكل وجوده آثار خلق الله وهيمنته وقدرته، فعندما يصيبه الضر يجأر إليه ويدعوه لكي يكشف عنه ضره فيتحسس قدرته اللامتناهية، وحين يواجه مكروباً يستعين به فيعينه الله سبحانه.. وهكذا في كل تحولات الحياة الأخرى.

أتى النبي صلى الله عليه وآله رجل من بني تميم يقال له أبو أمية، فقال: الى ما تدعو الناس يا محمد؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: "أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وأدعو الى من إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن استعنت به وأنت مكروب أعانك، وإن سألته وأنت مقل أغناك". (٥)

بِمَ عرفت ربك؟

إذا تدبر الإنسان في الخلق والخالق، عرف بفطرته تباين الخالق عن الخلق، فال مخلوق تحده الجهات، وله صورة مادية تُحس وتُلمس، وله قُرب ويُعد، ويتوالد بعضه من بعض، ويتداخل بعضه في بعض.. أما الخالق فليس يشبه خلقه في شيء من ذلك، سبحانه وتعالى عن كل ذلك علواً كبيراً.

فلقد سئل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: بِمَ عرفت ربك؟ قال: "عرَّفني نفسه". قيل: وكيف عرَّفك نفسه؟ قال: "لا يشبهه صورة، ولا يحس بالحواس، ولا يقاس بالناس. قريب في بعده، بعيد في قربه.

فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه. أمام كل شيء ولا يقال له أمام. داخل في الأشياء لا كشيء داخل في شيء. وخارج من الأشياء لا كشيء خارج من شيء. سبحانه من هو هكذا، ولا هكذا غيره، ولكل شيء مبتدء".^(٦)

نفي الصفات

إذا تفكرنا في الخلق وجدنا فيه صفات نقص وضعف فتتحول الى صفات كمال وقوة، ثم تعود الى النقص والضعف. فهو جاهل فيصبح عالماً بالتعلم، ثم يجهل بالنسيان والسهو، وهو عاجز فيصبح قادراً بالتمرس ثم يعجز بالمرض والشيخوخة، وهو صغير فيكبر ثم يعود متضائلاً صغيراً، وهو فقير فيستغني بالكسب أو غيره، ثم يعود فقيراً حين يخسر كل شيء، وهكذا.. ولكن هذه الصفات وتغيراتها لا تصدق بحق الخالق عز وجل إذ توحيده يعني نفي الصفات عنه، لأن طُرُو هذه الصفات وزوالها يدل على مصنوعية الشيء والله صانع وليس بمصنوع. لنستمع الى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو يلقي علينا درساً بليغاً في التوحيد بقوله:

"أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، جلّ أن تحله الصفات لشهادة العقول أنّ كل من حلّته الصفات مصنوع، وشهادة العقول أنه جل جلاله صانع ليس بمصنوع، فبصنع الله يستدل عليه، و بالعقول يعقد معرفته، وبالفكر تثبت حجته، جعل الخلق دليلاً عليه فكشف به عن ربوبيته، هو الواحد الفرد في أزليته، لا شريك له في إلهيته، ولا ندّ له في ربوبيته...".^(٧)

ذلکم الله رب العالمین

جاء رجل الى الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، فقال له: يا بن رسول الله؛ صف لي ربك، حتى كأني أنظر إليه. فأطرق الإمام الحسن بن علي عليهما السلام ملياً، ثم رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم، ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود، ولا أمد به (حتى)، ولا شخص فيتجزأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى. فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، ولا الأبواب وأذهانها صفته فتقول: متى؟ ولا بُدئ مما، ولا ظاهر على ما، ولا باطن فيما، ولا تارك فهلا. خلق الخلق فكان بديعاً بديعاً؛ إبتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد من استزاد. ذلكم الله رب العالمين".^(٨)

ما هو التوحيد؟

لا نحتاج للاجابة على هذا السؤال أن نلجأ للأبحاث الفلسفية والكلامية المعقدة التي قد لا تزيدنا من الله إلا بُعداً، فالسنة الشريفة هي أفضل مصدر لذلك، فهي توجهنا الى حقيقة التوحيد عبر إثارة عقولنا وهدايتنا الى فطرتنا السليمة، بعبارات وجدانية بسيطة وواضحة.. لنصغ الى عدد من الروايات في هذا المجال:

١- عن عبد العزيز بن المهتدي، قال: سألت الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن التوحيد، فقال: "كل من قرأ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وآمن بما فقد عرف التوحيد".^(٩)

٢- روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه سأله رجل فقال له: إن أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير، ولا بد لعاقل منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه ويتهياً حفظه.

فقال عليه السلام: "أما التوحيد فأن لا تجوّز على ربك ما جاز عليك، وأما العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه".^(١٠)

٣- قام رجل إلى الإمام الرضا عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله؛ صف لنا ربك، فان من قبلنا قد اختلفوا علينا. فقال الإمام الرضا عليه السلام: إنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل. أعرّفه بما عرّف به نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة؛ لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه، ومتمدان في بُعد لا بنظير، لا يُمثّل بخلقته، ولا يجور في قضيته. الخلق إلى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، ولا يعملون خلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون. فهو قريب غير ملتزم، وبعيد غير متقص، يحقق ولا يمثّل، ويوحد ولا يبغض، يُعرف بالآيات، ويثبت بالعلامات، فلا إله غيره، الكبير المتعال".^(١١)

أدنى المعرفة

ما هي أقل درجات معرفة الله عز وجل؟ هذا السؤال أجاب عنه الإمام أبو الحسن عليه السلام في رواية الفتح بن يزيد، حيث سأله عن أدنى المعرفة،

فقال الإمام عليه السلام: "الإقرار بأنه لا إله غيره، ولا شبه له ولا نظير، وأنه قدس ممتد، موجود غير فقيد، وأنه ليس كمثله شيء".^(١٢)

لا تفكروا في الله

مادام الله هو خالقنا وصانعنا، وهو أكبر منا يحيط بنا ولا نحيط به علماً، فلماذا التفكر في ذات الله؟ إن هذا التفكر يزيد الانسان تيهاً وضلالاً، وقد نهتنا السنة الشريفة عن ذلك:

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: "إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه".^(١٣)

وقال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: "إياكم والتفكر في الله، فان التفكر في الله لا يزيد إلا تيهاً. إن الله عز وجل لا تدركه الأبصار، ولا يوصف بمقدار".^(١٤)

وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: "تكلموا في خلق الله ولا تتكلموا في الله، فان الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً".^(١٥)

ثمن التوحيد

إذا كان أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده - كما في الرواية السالفة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - فإن التوحيد يكون أساس كل شيء في الحياة، وبناءً عليه أو على عدمه تكون الجنة أو النار. فالتوحيد هو باب الجنة، والشرك بالله ظلم عظيم يوجب الله صاحبه النار. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "التوحيد ثمن الجنة".^(١٦)

وروي عن الإمام علي عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:
إن الله عز وجل قال: ما جزاء من أنعمتُ عليه بالتوحيد إلا الجنة".^(١٧)
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله جل جلاله: "لا إله إلا
الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي".^(١٨)
وقال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: "إن الله تبارك وتعالى حرم
أجساد الموحدين على النار".^(١٩)

أفضل الأعمال

عن محمد بن سماعة، قال: سأل بعض أصحابنا الإمام جعفر الصادق
عليه السلام، فقال له: أخبرني أي الأعمال أفضل؟ قال: "توحيدك لربك".
قال: فما أعظم الذنوب؟ قال: "تشبيهك لخالقك".^(٢٠)

الفصل الثاني: عن العدل

العدل في القرآن الكريم

أكبر صفات الله العدل الذي يجريه في الطبيعة، حيث يسرّ للحياة سنناً يجريها بقدرته وسلطانه، فلا يدع جانباً منها يطغى على جانب آخر؛ والانسان هو المخلوق الوحيد الذي أكرمه الله بالحرية، ولكنه حدد حرّيته بوقت، فبعده يعيده الى حدوده بالقوة إن لم يعد إليها بالهداية. ومن أولى بتطبيق العدالة في الحياة من العزيز (المقتدر) الحكيم (الخبير بالأمور)؟ قال سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران/ ١٨)

يأمر بالقسط

وقال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف/ ٢٩)

العدالة فطرة كامنة في البشر، وطموح كبير. وإذا لم يهو أحد القيام بالقسط بنفسه، فلا ريب أنه يجبه للآخرين ويطلبه منهم. والله تبارك وتعالى لا يمكن أن يأمر بغير القسط، والكون كله يشهد له بالعدالة في كل شيء.

الصدق والعدل

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الانعام/ ١١٥)

تتميز كلمات الله، وخلاصة وحيه الى البشرية بأنها تامة، ويعني ذلك أنها تفي بكل الحاجات البشرية، وأنها صادقة تطابق الحق، والحق هو ما في الكون من أنظمة وسنن. وما أن ربنا هو جاعل هذه الأنظمة ومجريها، فانه سبحانه هدى البشر إليها عبر كلماته بصدق؛ وأن كلمات ربنا سبحانه هي العدالة، حيث انها تعطي لكل فرد حقه ولكل طائفة وقوم وجيل حقه، ذلك لأن الله فوق الميول والشهوات، وقادر وحكيم وعليم، لذلك لا يوجد لديه سبحانه أي سبب للظلم من عجز أو ما أشبه.

لا يظلم أحداً

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء/٤٠)

من أبرز تجليات عدالة الله تعالى، أنه لا يظلم أبداً ولو بمقدار ذرة. فهو يجازي الناس بالضبط وبكل دقة؛ فاذا كفر شخص بمقدار وزن ذرة صغيرة، فانه يجازيه بمقدار كفره لا أكثر من ذلك، وإذا عمل خيراً بمثل ذرة فإنه لا يضيع عمله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة/٧-٨).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ﴾ (يونس/٤٤)

فعندما يغلق الانسان سمعه وبصره عن تلقي أمواج الهداية الربانية، لا يجوز له أن يزعم بأن الله سبحانه قد ظلمه إذ سلبه سمعه وبصره. كلا؛ فالله لا يظلم أحداً، بل الانسان هو نفسه الذي لا يتفجع بسمعه وبصره وبالتالي يظلم نفسه. فالتاس هم الذين لا يستفيدون من أدوات التوجيه التي وهبها

الله لهم ليهتدوا عبرها، وربما كان تعبير القرآن هنا بكلمتي "الناس" و "أنفسهم" هو لسبب أن الناس يظلم بعضهم بعضاً بالتضليل عن صراط الهدى، ولذلك فإنهم المسؤولون عن هداية بعضهم البعض.

الموازين العادلة

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾
(الأنبياء/٤٧)

في يوم القيامة يواجه كل انسان جزاءه، حيث الحساب الدقيق والعسير؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وتعالى الله أن يظلم أحداً شيئاً؛ حتى لو أن الانسان أحسن وعمل عملاً بوزن مثقال حبة من خردل، وفي أي مكان على وجه الأرض، وعلى أية درجة من السرية والكتمان، فان الله سيأتي به — بقدرته وعلمه اللامحدودين — مثبتاً ومسجلاً، يعرضه على صاحبه في يوم القيامة، ثم يعطيه جزاءه العادل عليه.

العدل في السنة الشريفة

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له يحمد الله فيها: "الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه.." (٢١)

وقال عليه السلام في خطبة أخرى: "الذي عظم حلمه فغفا، وعدل في كل ما قضى.." (٢٢)

هو العدل

لا شك في قدرة الله على كل شيء.. وأن باستطاعته في أقل من لحظة عين أن يزرع الهدى في قلوب الضالين، أو أن يضل المهتمدين. ولكن حاشاه أن يستخدم قدرته في ظلم عباده، فإذا رسخ الهدى في قلب انسان فإن الله لا يظلمه بنزع الإيمان من قلبه. سئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن ذلك، حيث قال له الحسين بن نعيم الصحاف: أيكون الرجل مؤمناً قد ثبت له الإيمان ثم ينقله الله بعد الإيمان الى الكفر؟ فقال الإمام عليه السلام: "إن الله هو العدل، وإنما بعث الرسل ليدعوا الناس الى الإيمان بالله، ولا يدعوا أحداً الى الكفر". (٢٣)

ما عرف الله..

هناك جملة من الناس تتهرب في الحياة من مسؤولية أعمالها السيئة، وذلك بإلقاء تبعة الذنوب على الله عز وجل، فيزعمون أن الله هو الذي يريد لهم ارتكاب الذنوب، ولولا ارادة الله عز وجل لما أذنبوا، إلا أن هذه النظرة تتناقى وعدل الله عز وجل.

يقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: "ما عرف الله مَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ، وَلَا وَصَفَهُ بِالْعَدْلِ مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ". (٢٤)

الله أعدل

وفي الرواية المأثورة عن الإمام الرضا عليه السلام نجد التعبير عن هذه القضية بلغة أخرى، فالله لا يجبر عباده على السيئات ثم يعذبهم على ذلك، إذ ان ذلك يتناقض مع عدله وحكمته.

روي أن الفضل بن سهل سأل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بين يدي المأمون، فقال: يا أبا الحسن؛ الخلق مجبورون؟ فقال: "الله أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذبهم". قال: فمطلقون؟ قال: "الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله الى نفسه". (٢٥)

الله أكرم

كما أن الله سبحانه لا يكلف أحداً ما لا يقدر عليه، إذ أن ذلك ظلم هو الآخر، والله منزّه عن كل أنواع ودرجات الظلم. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "إن الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد". (٢٦)

ليبتلي من أراد

لماذا إذن نجد بين الناس الفقير والغني؟ أليس من الأفضل أن يقسم الله الأرزاق بالسوية بين الناس، فلا فقير ولا غني؟ كلا؛ ليست المساواة تعني العدل دائماً. فدار الدنيا دار الابتلاء والاختبار، ومن أسباب الإختبار هو السعة أو الضيق في الرزق. يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "وقدّر الأرزاق فكثّرها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها..". (٢٧)

الفصل الثالث: عن الرسالة والرسول

الرسالة والرسول في القرآن الكريم

قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

)

ا

ح

د

هـ

و

ز

ح

ط

ق

إن الله أرسل الرسل دليلاً إليه وتعريفاً للناس به تعالى، فهم يتحملون مسؤولية محددة هي تبليغ رسالة الخالق الى المخلوقين، وهدايتهم الى معرفته، والايمان به، والعمل برسالته. فالرسل هم السفراء بين الخالق والمخلوق، وحبل الله الممدود من السماء الى الأرض.

ولكن كيف نعرف صدقهم وصدق دعوتهم من بين القادة المنحرفين والدعوات الضالة؟

القرآن يجيب: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وهذه الكلمة معنيان يبدو أنهما معاً مقصودان بهذه الآية:

١- تفاصيل الهدى المتمثلة في البصائر والمناهج المنبثقة منها، واشتمال رسالات الأنبياء على هذه التفاصيل دليل على أنها وحي من عند الله، إذ قد يهتدي إنسان أوتي صفاء النفس الى بعض معاني الغيب، ولكن أئى للإنسان أن يأتي بهذه المنظومة المتكاملة من البصائر الغيبية، فليس ذلك إلا دليل إتصاله المباشر بالوحي.

٢- الحجج والآيات التي تهيمن على النفس والعقل، كالمعاجز والخلوص من الهوى والمصلحة، والتمحّض للحق. وهذا يهدينا إلى أن الرسالات الإلهية قائمة قبل كل شيء على الإقناع، لأنه الذي ينمي الإيمان في النفس، ويحركه بفاعلية أكبر وأبقى من أي عامل آخر. وحينما يتخلف أحد من المؤمنين عن الاستجابة للرسول وللوحي فإنّ ذلك يدل على تزلزل قناعاته.

ولأن الإيمان بالرسول لا يؤتي ثماره إلا إذا تحول الى نظام تربوي، اجتماعي، اقتصادي، سياسي، ثقافي شامل لجوانب الحياة، يكفل للبشرية

السعادة، أنزل الله مع رسله شريعة متكاملة الى جانب البيئات متمثلاً بالكتاب: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾.

الرسول ومسؤولية الإنسان

ليس الهدف من بعث الرسول هو سلب المسؤولية عن الناس وإلقائها على عاتق الأنبياء، كما كان يزعم البعض، فقد تطرق فريق من الناس فرعموا إن الرسول إنما يأتي ليكون مسؤولاً بدلاً عنهم، أو ليحبرهم على الهدى، أو حتى ليؤمن لهم عملياً كل وسائل السعادة. ولكن الله يفنّد هذا الزعم قائلاً: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الانعام/ ٤٨)

فالهدف من بعث الرسول هو توفير وسيلة الأمان في النفوس وفي الواقع. فالذين يؤمنون بالرسول ويتبعونهم لا خوف عليهم من المستقبل، مما يدل على وجود حالة السلام في أنفسهم، ولا هم يحزنون من الماضي مما يدل على وجود السلام في الواقع الخارجي حيث لا يصيبهم ما يحزنون بسببه لتمسكهم بمناهج الرسول.

غاية الرسل

إن الغاية من بعث الرسل هي: التبشير بحياة أفضل، والتحذير من الهلاك، حتى لا يقول الناس غداً: ربنا لم لم تبعث إلينا الرسل حتى لا نضل ولا نقع في الهلاك. إن هذا الهدف العقلاي لدليل على إن الله قد بعث الرسل بالتأكيد، ثم لأن الله قادر على بعث الرسل، ولأنه حكيم فهو لا يعذب البشر قبل أن يقطع عليهم الحجج، ويسوق إليهم الأعدار. قال الله

تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ
الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٦٥)

لا.. للاكراه

من آثار رحمة الله أنه لم يبادر الى إنزال العقوبة بعباده فور إنحرافهم عن
الدين القيم، مما يعرضهم للاصطدام بالسنن الإلهية. كلا؛ وإنما أُنذِرهم عبر
رسله.

أرأيت لو شاهدت طفلاً يلعب على حافة جبل، أولست تخشى عليه
السقوط وتسعى بكل جهدك أن تردعه؟ كذلك رسل الله سعوا من أجل
إيقاف سقوط الأمم في وديان الفساد. ولكن ذلك لا يعني أبداً إكراه الناس
على الهداية، بل الذين أجزموا تعرضوا لانتقام الرب في النهاية، أما المؤمنون
بالرسل فكان حقاً على الله أن ينصرهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم/٤٧)

للناس كافة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ/٢٨)

إن ما يميز رسول الله صلى الله عليه وآله عن سائر الأنبياء عليهم
السلام، أنه بُعث لعامة الناس، إذ لم تختص دعوته بجماعة دون أخرى، ولا
بقوم دون آخر. وهذا بذاته دليل على صدق رسالته، ذلك أن الانسان

مهما حاول التجرد فانه يبقى ابن بيئته التي تعكس عليه آثاره في واقع الثقافة، كما تعكس عليه الآثار الطبيعية. وهكذا حين يأتي الرسول برسالة تتجاوز القومية والعنصرية والاقليمية، نظرياً وعملياً، فان ذلك يكون دليلاً على أن رسالته إلهية.

الرسول أسوة

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب/ ٢١)

معرفة الرسول والافتداء به لا يمكن إلاً للانسان المؤمن والعارف بالله، لأن الرسول جاء من عند الله، وكلما ازداد الانسان معرفة بربه ازداد معرفة بنبيه. وقد جاء في الدعاء: "اللهم عرّفني نفسك فانك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني نبيك فانك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فانك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني".

أما الذي يكون هدفه شهواته أو زينة الدنيا، فانه لا يستطيع الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله، الذي أخلص نفسه ووجهه لله، وزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزحرفها وزبرجها.

ليظهره على الدين

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/ ٣٣)

لقد بعث الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وآله لتحقيق هدفين أساسيين، هما:

١- توفير فرصة الهداية للناس حتى يتم الحجّة عليهم. والهدى هو الوصول الى الحقيقة، ولا يصل البشر الى الحقيقة إلاّ بالعلم بها والتسليم القلبي لها. ذلك لأن العلم الذي لا يشفعه الإيمان لا يكفي، إذ يبقى الجحود والغفلة حاجزاً بين البشر وبين الحقيقة.

٢- إقامة سلطة الحق؛ سلطة العدالة والقانون؛ سلطة القيم والمبادئ، وذلك في مقابل سلطة القوة التي هي شريعة الغاب ومنطق الجبارين. ومن الواضح إن المجتمع إما تسوده شريعة الغاب أو شريعة الله؛ شريعة الحق أو شريعة الباطل، لأن الله تعالى الذي خلق الحياة، منح قدراً من الحرية للناس، إلا أن العقاب هي للحق. ولقد تنامت أمواج الرسالة في العالم منذ انبعاث الرسول العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الى اليوم. أوليس ذلك دليلاً على تحقق وعد الله في ظهور الإسلام على الدين كله؟

طاعة الرسول

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران/١٣٢)

حين يتطهر المجتمع من الاستغلال، يتطهر من أكبر أسباب التمرد والنفاق، ويستعد لطاعة الرسول، خصوصاً لدى تحكيمه في الخلافات العرقية والقومية والمصلحية، بين فئات المجتمع. وطاعة الرسول تستدرج الرحمة والرفاه، لأنها تقضي على نوازع الشر، وأسباب الخلاف والتمرد، وتوجه الأمة كلها

باتجاه البناء في ظل اطمئنان وارف يشعر الجميع فيه بأن جهودهم لن تذهب سدى.

التقدم والطاعة

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء/ ٨٠)

إن طاعة الرسول هي طاعة الله، لا اختلاف بينهما ولا تناقض؛ إذ أن الرسول إنما يبيّن كتاب الله، ولولا طاعة الرسول لانهار بناء التوحيد. وهذا التماسك في المبادئ الاسلامية والتكامل والوحدة فيها للدليل على أنها من الله تعالى، إذ أن أي مبدأ بشري لا بد أن تجد فيه تناقضاً بين الأيدلوجية والتشريع، وبين بنود الأيدلوجية ذاتها، وبين قوانين التشريع مع بعضها. وعلى هذا فان حاجة الأمة الى الطاعة المبدئية هي أكبر من حاجتها الى أي شيء آخر، إذ التعاون والتطوير، والمواجهة مع الأعداء، وبناء وإعداد الجبهة الداخلية.. كل تلك نتيجة مباشرة للطاعة؛ وإنما تتقدم الأمم بقدر تماسكها واندفاعها ووحدة مسيرتها، وهي كلها تأتي نتيجة الطاعة.

الرسالة والرسول في السنة الشريفة

لماذا بعث الله الأنبياء؟

لماذا بعث الله الأنبياء؟ هذا السؤال يطرحه غرور الانسان على طول التاريخ، ناسياً حاجته الملحة لمن يبشره بالطريق الأقوم في الحياة، وينذره من سلوك الدرب الأعوج. فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: لأي شيء

بعث الله الأنبياء والرسل الى الناس؟ فقال الإمام عليه السلام: "لغلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل، ولغلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، ولتكون حجة الله عليهم. ألا تسمع الله عز وجل يقول حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾. (٢٨)

وفي نفس السياق قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بالحق، ليخرج عباده من عبادة الأوثان الى عبادته، ومن طاعة الشيطان الى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد رهم إذ جهلوه، وليقرؤوا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه. فتحللي لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته، وكيف محق من محق بالمثلاث، واحتصد من احتصد بالنقمات". (٢٩)

كيف نثبت الرسل؟

وروي عن هشام بن الحكم قال: سأل الزنديق الذي أتى الإمام الصادق عليه السلام، فقال: من أين أثبتت أنبياءاً ورسلاً؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، ولا يباشروهم ولا يباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، فثبت أن له سفراء في خلقه يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم. فثبت الأمرون والتاهون

عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أنه له معبرين، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم في الخلق والتركيب، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علمٌ يدل على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته". (٣٠)

حجة ظاهرة

ويزعم البعض أنه تكفيننا عقولنا، فهي حجة الله علينا، ولا حاجة لنا بالرسول والأنبياء، غافلين عن أن عقول الناس هي حجج باطنة تدس تحت ركام الجهل والغفلة والعصبية فتحتاج الى من يعضدها من الخارج وهم الرسل. قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الإعتذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق". (٣١)

وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: "إن الله على الناس حجتين؛ حجة ظاهرة، وحجة باطنة. فأما الظاهرة فالرسول والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول". (٣٢)

استجيبوا لأنبياء الله

ولا يكفي مجرد الإيمان القلبي بالرسول والاعتراف بهم، بل ينبغي أن يكتمل ذلك بالعمل وفق مناهجهم والاستجابة لدعواتهم عملياً. يقول

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "استجيبوا لأنبياء الله، وسلموا لأمرهم، واعملوا بطاعتهم، تدخلوا في شفاعتهم". (٣٣)

ويقول الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: "يا هشام؛ ما بعث الله أنبياءه ورسله الى عباده إلاّ ليعقلوا عن الله، فأحسنهم إستجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأعقلهم أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة". (٣٤)

نهج الأنبياء

وقد بيّن الإمام الأمير المؤمنين عليه السلام حكمة بعثة الرسل في كلمات بليغة أشار فيها إلى:

أولاً: إن الله سبحانه قد أخذ من الأنبياء ميثاق الطاعة، فهم يختلفون عن سائر الخلق في الاستقامة على الطريق والاعتصام بالله عن الزلاّت. ثانياً: لأن أكثر الناس بدّلوا عهد الله اليهم بطاعته وأصبحوا من نصيب الشيطان، كان بعث الأنبياء ضرورياً لهدايتهم.

ثالثاً: لأن الله سبحانه قد أودع في فطرة البشر توحيداً وأخذ ميثاقهم عليه (في عالم النذر) فبعث الأنبياء ليطلبهم بآداء ذلك الميثاق.

رابعاً: ولأنه أنعم عليهم بمعرفته ولكنهم نسوه، فبعث الأنبياء ليذكروهم بتلك النعمة المنسية.

خامساً: لأن الله سبحانه يجازي الناس على كفرهم فارسل الأنبياء ليتموا الحجة عليهم.

سادساً: لأن عقول الناس قد دست في ركام الجهالات، أرسل الله الأنبياء عليهم السلام ليثيروا للناس ما دُفِنَ من عقولهم فيعرفوا الحق والباطل والوسيلة الى ذلك. إن الرسل يقومون براءة الناس آيات ربهم في الافاق.

إذاً دعنا نتأمل في كلمات الإمام بدقة، يقول عليه السلام:

"واصطفى سبحانه من ولده (ولد آدم) أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم^(٣٥) الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدره؛ من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تُحْيِيهِمْ، وآجال تُقْنِيهِمْ، وأوصاب^(٣٦) تُهْرِمُهُمْ، وأحداثٍ تتابع عليهم؛ ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة؛ رسل لا تُقَصِّرُ بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم؛ من سابق سُمِّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله. على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء.

إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهوراً سمائه، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء متشعبة، وطرائق متشعبة، بين مشبه لله بخلقهم، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهدهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة. ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلّم لقاءه، ورضي

له ما عنده، وأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقام البلوى، فقبضه إليه كريماً صلى الله عليه وآله، وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً، بغير طريق واضح، ولا علم قائم". (٣٧)

لنعظم الأنبياء جميعاً

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

"إن الله عز وجل مكن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته، وعلمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه أخلاقهم وأحوالهم أحد من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، وجعل حبهم وطاعتهم سبب رضاه، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه، وأمر كل قوم باتباع ملة رسولهم، ثم أبي أن يقبل طاعة أحد إلا بطاعتهم ومعرفة حثهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله؛ فعظم جميع أنبياء الله ولا تنزلهم بمنزلة أحد من دونهم، ولا تتصرف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلا ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقق بما فضائلهم ومراتبهم، وأتى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله؟ وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم، وأنكرت معرفتهم، وجهلت خصوصيتهم بالله، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمعرفة. فيأياك ثم إياك". (٣٨)

خاتم الأنبياء

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

"فاستودعهم (أي الأنبياء) في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم^(٣٩) كرائم الأصلاب الى مطهرات الأرحام؛ كلما مضى منهم سلفٌ قام منهم بدين الله خلف.

حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى الى محمد صلى الله عليه وآله؛ فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأرومات مغرساً؛ من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه. عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر؛ نبتت في حرم، وبسقت في كرم؛ لها فروع طوال، وثمرٌ لا يُنال. فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضبوؤه، وشهاب سَطَعَ نورُهُ، وزندٌ برق لمعه؛ سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحُكْمُهُ العدل؛ أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم".^(٤٠)

أكرمهم على الله

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: "خلق الله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، أنا أكرمهم على الله ولا فخر. وخلق الله عز وجل مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي، فعلي أكرمهم على الله وأفضلهم".^(٤١)

الفصل الرابع: عن الإمامة والإمام

الإمامة والإمام في القرآن الكريم

الحاجة الى الإمام

كما لا تكمل الرسالة بدون الرسول صلى الله عليه وآله، كذلك لا تتم الشريعة بدون إمام. ذلك لأن طبيعة البشر تهوي به إلى الأسفل ولا يكفيها وجود شريعة محفوظة في الأسفار، بل لابد من تجسيد تلك الشريعة في إنسان يتمتع بتفوق تشريعي يعطيه صلاحية تطبيق الشريعة على الناس، إذ لابد لكل قانون من مطبق نافذ الكلمة وإلا عاد القانون حبراً على ورق.

ولقد شاء الله تبارك وتعالى أن يسعد الإنسان في الحياة بدون أن يجبره على ذلك فيسلبه كرامته وحرته، وهكذا كان ينبغي عليه أن يوفر له كل وسائل السعادة حتى إذا شاء أخذ بها، فشرع له الشرائع وعبد له المناهج ثم بعث رسولاً يبين له وينذره ويشره ويدعوه الى تطبيق ذلك ويشرف على تنفيذه، وكان عليه أن لا يترك الخلق فوضى دون منفذ للشريعة بعد الرسول صلى الله عليه وآله؛ بل كان ينبغي أن يعين لهم أئمة يتمتعون بما يتمتع به الرسول من صلاحيات، ويقومون بما يقوم به الرسول من مهمات. كل ذلك إتماماً للنعمة وتحقيقاً للحكمة وتوفيراً لوسائل السعادة، ولكن كما لم يشأ الله

أن يُكره الناس على الهدى في عهد الرسل إبقاءً لهم على النعمة الكبرى الموهوبة لهم، وهي نعمة الحرية، فكذلك لم يشأ أن يجبرهم على إتباع الإمام جبراً. وهكذا أبقى على الإمام الأخير صاحب الزمان عجل الله فرجه إتماماً لحجته على خلقه وتوفيراً لمنتهم ما يمكنهم أن يبلغوه من سعادة الدنيا والآخرة.

أولوا الأمر

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بإطاعة أولي الأمر من بعد الرسول فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ (النساء/ ٥٩)

فأولوا الأمر هم الامتداد الطبيعي للرسول، وهم أهل بيته من بعده؛ العلماء بالله، الأمناء على حاله وحرامه، الأكفاء على القيام بأمره، الصابرون المتقون، وبالتالي هم أكثر الناس طاعة لله، وأقربهم إلى نهج رسوله.

من يعين الإمام؟

وكما أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يعين من قبل الناس أنفسهم، لأنه وسيلة متصلة بين الله والانسان، فإن الإمام لا يمكن أن يعين إلا من قبل الله أيضاً.

وبتعبير آخر؛ إن الإمام ينبغي أن يكون مؤيداً بالغيب، عارفاً بالله ودينه ومعارفه، بعيداً عن تأثيرات المادة وبعيداً عن ظروفها الضيقة. ولا يؤيد الله من يختاره الناس، بل من يصطفيه هو سبحانه وليس للناس الخيرة إذا قضى الله أمراً، ذلك لأنهم عباد مرهوبون يجب أن يسلموا بالحاكمة المطلقة لله في كلِّ

الشؤون. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/١٢٤). وقال سبحانه: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (ص/٢٦). وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة/٣٠). من هذه الآيات يظهر بوضوح إن الخلافة والإمامة - اللذين هما تعبيران عن واقع واحد - ليستا من حق أحد، وإنما هما لله وحده لا شريك له.

الإمامة وفضل الله

إن الأنبياء والأئمة يوفقههم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتاه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم عامة الناس. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة/٢٦٩). وقال عز وجل في طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٤٧). وقال عز وجل لنبية ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء/١١٣). وقال عز وجل في الأئمة من أهل بيته وعترته وذريته: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٥٤). وإذا اختار الله عز وجل أحد عباده لأمر عبيده، شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً.

من هم الأئمة؟

قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا
بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة/٢٤)

الآية الكريمة ترشدنا الى جملة من صفات الإمام الرئيسية، وهي:-

١- الهدى الى الله وبأمره، وليس الى نفسه أو حزبه أو وطنه.. وما أشبه
من الدعوات الجاهلية.

٢- الصبر وتحمل الشدائد. فالقائد الإلهي هو الذي تتبلور شخصيته في
ميادين العمل الجهادي وسوح القتال في سبيل الله، وليس الذي يركب الموجة
أو يتسهم سهوة الانتصار من دون عمل وخلفية جهادية. وربما لذلك كان
الله تعالى يختار الأنبياء والرسل والأئمة من رحم الشدائد، وعند اجتياز
أصعب العقبات.

٣- اليقين، وذلك يعني وصوله الى مستوى رفيع من الإيمان بالله، لا يهن
بعده ولا يرتاب في طريق الحق، سواء انتصر أو انتكس مرحلياً.

الإمامة والإمام في السنة الشريفة

قال عبد العزيز بن مسلم: كنا مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه
السلام بمرو فاجتمعنا في المسجد الجامع بها فأدار الناس بينهم أمر الإمامة،
فذكروا كثرة الاختلاف فيها، فدخلت على سيدي ومولاي الإمام الرضا عليه
السلام فأعلمته بما خاض الناس فيه، فتبسم عليه السلام ثم قال:

يا عبد العزيز؛ جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إن الله جل وعز لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، وبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس جملاً، فقال: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾. وأنزل عليه في حجة الوداع وهو آخر عمره صلى الله عليه وآله وسلم "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً". وأمر الإمامة من كمال الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأُمَّته معالم دينه وأوضح لهم سبلهم وتركهم على قصد الحق وأقام لهم علياً عليه السلام عالماً وإماماً، وما ترك شيئاً مما تحتاج إليه الأمة إلا وقد بينه. فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فقد كفر. هل يعرفون قدر الإمامة ومحملها من الأمة، فيجوز فيها إختيارهم؟

إن الإمامة خص بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال جل وعز: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال الجليل سروراً بها: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفة. ثم أكرمها الله بأن جعلها في ذرية أهل الصفة والطهارة، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾. فلم تزل ترثها ذريته عليه السلام بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها النبي صلى الله

عليه وآله وسلم، فقال الله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فكانت لهم خاصة فقلدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم العلم والإيمان، وذلك قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ على رسم ما جرى وما فرضه الله في ولده الى يوم القيامة. إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن أين يختار هذه الجهال الإمامة بأرائهم؟

إن الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة رسوله صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وخلافة الحسن والحسين عليهما السلام.

إن الإمام زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين. الإمام أس الإسلام النامي وفرعه السامي. بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الشغور والأطراف.

الإمام يحلل حلال الله ويحرم حرامه ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة. الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهو بالأفق حيث لا تناله الأبصار ولا الأيدي.

الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الطالع والنجم الهادي في غيابات
الدجى والدليل على الهدى والمنجى من الردى.
الإمام النار على اليفاع^(٤٢)، الحار لمن اصطلى والدليل في المهالك، من
فارقه فهالك.

الإمام السحاب المطر والغيث الهاطل والسماء الظليلة والأرض البسيطة
والعين الغزيرة والغدير والروضة.
الإمام الأمين الرفيق، والوالد الشفيق والأخ الشقيق وكالأم البرة بالولد
الصغير ومفزع العباد.

الإمام أمين الله في أرضه وخلقه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده
والداعي إلى الله والذاب عن حريم الله.

الإمام مطهر من الذنوب، مبرء من العيوب، مخصوص بالعلم، موسوم
بالحلم، نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد له بدل ولا له
مثل ولا نظير؛ مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب، بل
اختصاص من المفضل الوهاب، فمن ذا يبلغ معرفة الإمام أو كنه وصفه؟

هيهات هيهات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأبواب،
وحصرت الخطباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء،
وفحمت العلماء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله، فأقرت
بالعجز والتقصير، فكيف يوصف بكليته، أو ينعت بكيفيته، أو يوجد من
يقوم مقامه، أو يغني غناه؟ وأنى وهو بحيث النجم عن أيدي المتناولين

ووصف الواصفين، أيظنون أنه يوجد ذلك في غير آل رسول الله صلى الله عليه وعليهم؟ كدَّبْتُهُمُ وَاللَّهِ أَنفُسَهُمْ، ومنتهم الأباطيل إذ ارتقوا مرتقى صعباً ومنزلاً دحضاً، ذلت بهم إلى الحضيض أقدامهم، إذ راموا إقامة إمام بأرائهم، وكيف لهم باختيار إمام؟ والإمام عالم لا يجهل، وراع لا يمكر، معدن النبوة لا يغمز فيه بنسب ولا يدانيه ذو حسب؛ فالبيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالأمر، عالم بالسياسة، مستحق للرئاسة، مفترض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله. (٤٣)

أبواب الله

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله عز وجل، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه". (٤٤)

حجج الله على خلقه

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "يا علي؛ أنت والأئمة من ولدك بعدي حجج الله على خلقه، وأعلامه في بريته؛ فمن أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، ومن عصا واحداً منهم فقد عصاني، ومن جفا واحداً منهم فقد جفاني؛ ومن وصلكم فقد وصلني، ومن أطاعكم فقد أطاعني، ومن والاكم فقد والاني، ومن عاداكم فقد عاداني؛ لأنكم مني، خلقتكم من طينتي، وأنا منكم". (٤٥)

بالإمام يُعرف الله

عن أبي حمزة قال: قال لي أبو جعفر (الإمام محمد الباقر) عليه السلام: "إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فانما يعبده هكذا ضلالاً. قلت: جعلت فداك؛ فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاته علي عليه السلام، والإلتزام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم. هكذا يُعرف الله عز وجل". (٤٦)

فمن والاهم.. فهو مني

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: "لما أنزلت ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال المسلمون: يا رسول الله؛ أأنت يا إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من أهل بيتي من الله، يقومون في الناس فيكذبونهم، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم. ألا فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعهم وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء". (٤٧)

معرفة الإمام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من مات ولا يعرف إمامه، مات ميتة جاهلية". (٤٨)

عن يحيى بن عبد الله، عن أبي عبد الله (الإمام جعفر الصادق) عليه السلام، أنه قال: "يا يحيى؛ من بات ليلة لا يعرف فيها إمام زمانه، مات ميتة جاهلية". (٤٩)

وروي عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: "نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلّا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا. من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع الى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فان يمت على ضلّالته يفعل الله به ما يشاء". (٥٠)

تولّى علياً عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من أحب أن يحيى حياة تشبه حياة الأنبياء، ويموت ميتة تشبه ميتة الشهداء، ويسكن الجنان التي غرسها الرحمن، فليتولّى علياً وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعده، فأنهم عترتي خُلِقوا من طينتي. اللهم ارزقهم فهمي وعلمي، وويل للمخالفين لهم من أمّتي، اللهم لا تنلهم شفاعتي". (٥١)

الأئمة إثنا عشر

عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "الأئمة من بعدي إثنا عشر كلهم من قريش". (٥٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الأئمة من بعدي إثنا عشر، فمن أحبهم واقتدى بهم فاز ونجى، ومن تخلف عنهم ضلّ وغوى". (٥٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إثني عشر من أهل بيتي أعطاهم الله تعالى فهمني وعلمي وحكمتي وخلقتهم من طينتي، فويل للمتكبرين عليهم بعدي القاطعين فيهم صلتي، ما لهم؟ لا أنالهم الله شفاعتي". (٥٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يا علي؛ أنت وصيي، حربي، وسلمك سلمي، وأنت الإمام وأبو الأئمة الأحدي عشر الذين هم المطهرون المعصومون ومنهم المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فويل لمبغضهم. يا علي؛ لو أن رجلاً أحبك وأولادك في الله لحشره الله معك ومع أولادك، وأنتم معي في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار تدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار". (٥٥)

مسؤوليتنا تجاه الإمام عليه السلام

ماذا يجب على الناس تجاه الإمام؟

هذا السؤال يفرض نفسه على من اعتقد أن الإمام شخص ينتخبه الله تعالى، وجواب هذا السؤال لابد أن يأتي من قبل الأئمة أنفسهم - بعد الإيمان بهم مجملًا - وهناك عدة وظائف مفروضة على الناس بالنسبة إلى الإمام نشير إلى عشرة منها، ونذكر ما يشير إليها من كلماتهم عليهم السلام:

١ - معرفة الإمام بشخصه.

والدليل على ذلك قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: "من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية". (٥٦)

٢ - أن يعتقد بولايتهم.

والحجة على ذلك قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "إن أول ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله؛ عن الصلوات المفروضة، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت. فمن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها، قبلت منه صلواته وصومه وزكاته وحججه، وإن لم يقرّ بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل منه شيئاً من أعماله".^(٥٧)

٣- أن يسلم لهم ولا يرد عملاً من أعمالهم.

والبرهان على ذلك قول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: "إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة، والآراء الباطلة، والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلّم لنا سلّم، ومن اهتدى بنا هُدي، ومن دان بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم، وهو لا يعلم".^(٥٨)

٤- أن يطيعه في كل ما يقول.

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: "ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأنبياء ورضى الرحمان الطاعة للإمام بعد معرفته. ثم قال: إن الله يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾".^(٥٩)

٥- أن يرد أمر المشاكل إليه.

عن سدير، قال: قلت لأبي جعفر (الإمام محمد الباقر) عليه السلام: "تركّت مواليك مختلفين، يتبرأ بعضهم من بعض. قال: ما أنت وذاك؟ إنما

كُفِّتَ النَّاسَ ثَلَاثَةً؛ مَعْرِفَةَ الْأُئِمَّةِ، وَالتَّسْلِيمَ لَهُمْ فِيمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ، وَالرَّدَّ إِلَيْهِمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ". (٦٠)

٦- أن يتعلم منه الأحكام والعلوم والأخلاق.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية والباقون هالكون، والناجون الذين يتمسكون بولايتكم ويقتبسون من علمكم ولا يعملون برأيهم فأولئك ما عليهم من سبيل". (٦١)

٧- أن يرجع في تفسير القرآن وتأويله إليه.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه..". (٦٢)

٨- أن يفزع إليه في الدواهي.

قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: "الإمام، الأمين الرفيق والأخ الشفيق ومفزع العباد في الداهية". (٦٣)

٩- أن يعرض على الإمام النصرة متى شاء.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: "إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار (أي الكعبة) ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم، ويعرضوا علينا نصرهم". (٦٤)

١٠- أن يؤمن به وبحقانيته.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ النور والله الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة". (٦٥)

هذه هي الوظائف العامة التي تلزمنا تجاه الإمام في كل عصر.. ولكن هناك عدة مسؤوليات ضخمة مفروضة علينا اليوم بصورة خاصة بالنسبة الى الأئمة عليهم السلام، وهي:

١- أن نفهم معارف الأئمة عليهم السلام التي هي بحق المعارف الإسلامية، نفهمها بعيداً عن التيارات الدخيلة التي تلصقت في المناخ الفكري الإسلامي وهي ثلاثة:

أ/ التيار الفلسفي الذي دخل العالم الإسلامي في بداية القرن الثاني ولبس ثوباً إسلامياً، في حين إن جوهره إغريقي مادي.

ب/ التيار الاجنبي الذي لا يزال يتغلغل في أعماق مجتمعاتنا عن طريق مختلف وسائل الاعلام المتطورة، التي تحتوي على سموم بالغة من حيث البناء والإيجاء والإتجاه.

ج/ التيار الجاهلي الذي نبع عن ابتعادنا نحن عن مصادر الأئمة المعصومين عليهم السلام، حيث انجرنا وراء الأهواء والآراء الشخصية.

والتحصن ضد هذه التيارات إنما يمكن بالتوجه الى منابع الأولية للمعارف الإسلامية، وهي الروايات دون أن نستعين في فهمها أو تأويلها بشيء من التيارات المشار إليها، بل نعتمد على التدبر العميق في الأحاديث كما لو كنا نحن المخاطبين بها.

٢- أن نكيّف حياتنا العملية والفكرية مع توجيهات الأئمة الأطهار عليهم السلام دون أن ندع حرفاً واحداً منها غير مطبق تطبيقاً كاملاً.

٣- أن ننشر معارف الأئمة الهداة عليهم السلام في الأوساط العامة
وبمختلف المستويات، ونضحى في سبيل ذلك بالوقت والمال والمجهود.
نسأل الله أن يوفقنا لذلك حتى نحظى بسعادة الدنيا والآخرة.

الفصل الخامس: عن البعث والنشور

البعث والنشور في القرآن الكريم

تدعوننا الى الإيمان بالبعث بعد الموت نظرة واعية الى ما يجري حولنا من أحداث في هذه الدنيا الواسعة:

١- فهناك طائفة كبيرة من الناس يعيشون معنا، يحيون ويموتون طيبين - أعمالاً وقلوباً - لا يرحون عن إسداء الخدمات الانسانية إلى نظرائهم من البشر دون أن يريدوا منهم جزاءً أو شكوراً.. إنهم يعبدون ربهم ويذكرونه بالعشي والابكار، ولكن مع ذلك تجدهم مظلومين، مقهورين، منكدة عيشتهم، طويلة أحزانهم، متوالية نكباتهم وويلاتهم. وإلى جنب هذه الطائفة يوجد أناس يتمتعون بالعدة والثروة والجاه العريض، وبعكس ما قد يُتصور لا يزالون قاسطين، ظالمين، بغاة يهتكون الحرمات ويرتكبون الخطيئات، وكثير منهم يموت على ما هو دون أن يلقى جزاءه في الدنيا. وإن كثيراً من أولئك الطيبين يبلغون في مكارمهم القمة، كالأنبياء والصالحين والمتمسكين بالحق وهم الألوף الألوף. وإن كثيراً من هؤلاء المجرمين يهبطون في أعمالهم السيئة الى الحضيض ويقتلون الملايين ويقترفون الجرائم البشعة بحق البشرية جمعاء.

والله الحكيم الذي نرى آثار حكيمته في السماء والأرض، لم يخلق شيئاً عبثاً ولا كان بحاجة الى اللعب واللهو، تعالى عن ذلك. الله القادر الذي نجد في ذات أنفسنا وفي كل ما حولنا من أشياء آيات قدرته العظيمة التي لا تحد.. كيف لا يعطي جزاء هؤلاء وهؤلاء؟

أعبثاً خلقهم؟ أم خلقهم ليظلم قويهم ضعيفهم بغير سبب؟ أم أراد بذلك أن يؤذي غير المؤذي؟ أم عاجز عن أن يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإسائه؟ كلاً ثم كلاً.

فسبحان الحكيم الغني أن يخلق الخلق عبثاً (ولا حاجة له الى العبث) وسبحانه أن يعجز عن أن يجازيهم، أو أن يعجز عن خلقهم مرة أخرى وهو الذي أنشأهم أول مرة.

٢- كل دلائل الكون تهدينا الى أن ما فيه قد سخر لنا (أو قد خلق لأجلنا). كل ما فيه من شمس وقمر ونجوم تعمل - ليل نهار - لتبقى الحياة مستمرة. وكل ما فيها مسخر لنا، بما أوتينا من موهبة العقل والقدرة والحرية. وإذا كان كل شيء لنا، فنحن لماذا؟ هل خلقنا لكي نتمتع في الدنيا؟ ومن منا استطاع أن يتمتع بها سعادة وافية؟ أكبرنا أم صغيرنا؟ سيدنا أم مملوكنا؟ رئيسنا أم مرؤوسنا؟ ليس هناك من استطاع أن يتذوق حقيقة السعادة في الدنيا، فلماذا إذاً خلقنا؟

هناك جوابان على ذلك لا ثالث لهما:

أ/ إن الله سبحانه أراد أن يلعب ويعبث فخلقنا ليضحك علينا. وهذا بعيد عن دلائل حكيمته التي نراها في الكون، وعما يهدينا إليه العقل من كمال ربنا، إنه قدوس ليس فيه نقص.

ب/ إنه خلقنا لعالم آخر، وجعل ما في هذه الدنيا من خير دليلاً على أفضل منه وأكمل منه يوجد في الآخرة، وما هنا من شر دليلاً على أسوأ منه وأطول منه يوجد في الآخرة، وأذاقنا من هذا حيناً ومن هذا حيناً، ثم بين لنا عن طريق رسله كيف نتجنب ذلك ونقترب الى هذا. وهذا هو التفسير الصحيح لظواهر الكون كلها.

٣- والى هذا تشير الآيات القرآنية التي سوف نلم بنبذة يسيرة منها، والتي تعتبر بذاتها دليلاً مستقلاً على الحياة الآخرة، لما ثبت بالأدلة العقلية أن لنا إلهاً كاملاً وأنه بعث رسلاً صادقين ونقلوا عنه أن من عمل سوءاً جوزي به وأنه من صلح عملاً أثيب عليه، علمنا بأن وراءنا جزاءً وثواباً. لنقرأ معاً بعض هذه الآيات القرآنية:

لا ريب فيه

قال الله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية/٢٦)

بلى؛ يوم القيامة لا ريب فيه واقعاً؛ أي لا محالة واقع، وليس في ذلك تردد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذا الواقع، ولا يغير جهل البشر من الواقع شيئاً. فنحن نجهد - مثلاً - وجود منظومة شمسية في آخر آماذ هذا الفضاء، فهل يجعل جهلنا بها وجودها عدماً؟ كلاً.. ولعل هذه الآيات في القرآن تعالج حالة نفسية عند البشر، وهي أنه يزعم إن مجرد شكه في شيء يجعله في حل من الالتزامات المترتبة على وجوده. كلاً، فالشك في الشيء لا يغير من الواقع شيئاً؛ فالواقع واقع، سواء آمنت به أو لم تؤمن، فإذا كان ذلك الواقع كيوم القيامة الرهيب فان تجاهله مأساة حقيقية للانسان.

لماذا البعث؟

من أهداف النشور بعد الموت تبيان الحق، وكشف زيف الكفار. وهكذا يكون من حِكم الإيمان بالآخرة، الإيمان بوجود مقياس ثابت للحق، يرجع إليه الناس، فيحكم بينهم فيما اختلفوا. قال الله تعالى: ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ (النحل/ ٣٩) فلا يستطيع أحد من أن يبدل الحق باطلاً، ويخدع نفسه بأن الباطل قد أصبح حقاً. كلاً؛ إن وراءنا يوماً يميز فيه الحق عن الباطل بوضوح كاف.

يحيي ويميت

إن العالم مع ما فيه من تقدم كبير في مجال العلوم المختلفة، عاجز بأسره أن يضيف إلى الإنسان لحظة واحدة من الحياة، لأن الحياة بيد الله وحده، فهو الذي يحيي ويميت. وليس الإنسان وحده الذي يخضع لإرادة الله تعالى، بل لا تجد ظاهرة في الكون إلا وهي خاشعة له خاضعة لأمره.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (المؤمنون/ ٨٠)

فالليل والنهار يتعاقبان، ليس فقط في التناوب الزمني، وإنما أيضاً في القصر والطول. ومن أوتي البصيرة، والنظر بعين قلبه الى اتقان تدبير الله في الليل والنهار، تبصر أيضاً بمعنى الحياة والموت وقدرة الله المهيمنة عليهما. وإن الإنسان ليهتدي لهذه الحقيقة حينما يستفيد من عقله، أما حين يعطله بالأسباب المختلفة، كتقليد الآباء، فانه أبعد ما يكون عن استيعاب هذه الحقائق بالرغم من شدة وضوحها وقرئها.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ءَأِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَعَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون/ ٨١-٨٣)

لقد زعموا بأن هذه الحقيقة هي من الأفكار المتخلفة، ونسوا أن مبدأهم كان من التراب، وإن الذي خلقهم أول مرة لقادر على بعثهم من التراب مرة أخرى.

الحياة الآخرة

قال الله سبحانه: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت/ ٦٤)

إن الحياة الدنيا بصورتها العادية، ومقوماتها، وأبعادها المادية، مجرد لهو أو لعب بلا هدف. فالأهداف الجدية ترتبط جديتها بمدى ارتباطها بالحياة الآخرة، والقضايا الغيبية.

وفي الدار الآخرة تتوفر جميع مقومات الحياة من الخلود الأبدي، واللذات الجمّة، والراحة النفسية الممتزجة بالطمأنينة.. فيتخلص المؤمن من هموم الدنيا ومشاكل الحياة.

يوم ينتظرك

لا يتخلص الإنسان من حب الدنيا إلا بذكر الآخرة؛ فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار هانت عليه مصيبات الحياة.

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ *

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ
مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾
(العاديات/١-١١)

ذلك يوم ينتظرنا جميعاً، حيث تثار فيه القبور لاستخراج ما فيها. ويومذاك يحشر الناس للحساب، وتشهد عليهم جوارحهم، وتظهر ما في جوارحهم، وتبلو السرائر، وتسقط الأفتعة، ويعرف الإنسان مدى خسارته لفرصة العمر إذ لم يترك نفسه من حب الدنيا وبهاجتها. وهنالك يعلم الناس يقيناً أن الله تعالى محيط بهم.

وهكذا نرى الإيمان بالآخرة وتذكر الحساب فيها كيف يكبح جماح شهوات الدنيا عند البشر.

وعد الله

إن النفس البشرية لا ترى بطبعها إلا ما أمامها من الحقائق المشهودة، ولا تتأثر بالمستقبل البعيد حتى ولو كان من الحقائق المعلومة يقيناً. وبضغط من الشهوات العاجلة، وبوساوس إبليس تعرض النفس عن الغيب للشهود، وعن المستقبل للحاضر. ولا بد من تصوير الغيب، وإبراز مشاهد من المستقبل حتى تحتم النفس بما. ولعل منهج القرآن في تصوير مشاهد البعث والجزاء باستشارة قوة الظن والخيال يتم لهذه الغاية. فهو ليس مجرد أسلوب في البيان، بل هو منهج علمي لإصلاح النفس وإيجاد التوازن بين قوة الشهود وحقائق الغيب، وإنما المؤمنون هم الذين يستشرفون المستقبل، وينظرون إلى الغيب بقوة الظن، ويستشيرون كوامن الخوف والرجاء بالتذكرة الذاتية.

والسياق القرآني في سورة يس يصور لنا جانباً من مشاهد الهلاك ثم
النشور والجنة والنار.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
يَخِصِّمُونَ﴾ (يس/٤٩)

إنهم يستعجلون العذاب، ويقولون: متى هذا الوعد؟ بلى؛ ولكنهم
ينتظرون بذلك أمراً عظيماً، إذا جاء لا يمكن رده أو تأجيله، فانما هو صيحة
واحدة لا ثانية لها، لأنها القاضية، وهي تعمهم بالأخذ بغتة في وقت تراهم
يخوضون في جدلياتهم التي لا تغني شيئاً.

ثم يقول ربنا عز وجل: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ﴾ (يس/٥٠)

وهذه المباغته سريعة الى درجة أنها تمنعهم من أن يخلفوا وصيتهم، بالرغم
من أنهم لا يعودون الى أهلهم، فهم أحوج ما يكونون الى التوصية.

بعد ذلك يقول ربنا سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ
الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا
وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس/٥١-٥٢).

ويمكث الناس في قبورهم ما شاء الله، حتى ينفخ في الصور الملك الكريم
اسرافيل؛ وبمجرد النفخ تراهم يسرعون الى ربهم، حيث وضع الميزان العادل.
وهنالك يعترف هذا الإنسان الخصيم الذي استهزأ بكل المرسلين، وأعرض
عن كل الآيات، وينادي بالويل لنفسه، ويزعم أنه كان نائماً، ويتساءل: أية
قدرة استطاعت بعثه من محل نومه بعد طول الرقاد؟! فيأتيه الجواب: ﴿هَذَا
مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

الساعة آتية

كل إنسان مفطور على الإيمان بالبعث؛ ولكن بما أنه معرض لوساوس الشيطان، فهو يكفر إن لم يحاول قمع تلك الوسوس. فإذا اعتري الإنسان ريب من البعث، فليُنظر الى ماضيه، وهل باستطاعته أن يقول: إن الله لا يقدر على خلقه من جديد؟ فكيف - إذاً - خلقه أطواراً؟

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج/٥)

خلق الله الإنسان من تراب، ثم من نطفة، فعلقه فمضغته. وبعد الولادة كان في حالة تطور؛ فمن الطفولة الى الشباب، الى الهرم، الى الوفاة. وهذا التطور يسير حسب قانون وتدبير رشيدين، من لدن إله حكيم قدير. فلكي تعرف مستقبلك انظر الى بداية خلقك، فبعد أن كنت ضعيفاً في رحم أمك قويت، وسوف تعاد كذلك في أردل العمر. أوليس الذي أنشأك في ظلمات الأرحام، وفي الحياة خلقاً بعد خلق بقادر على إنشائك من بعد موتك؟!!

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج/٦-٧)

وصفوة القول؛ إن الآيات المتقدمة تدعونا إلى أمرين؛ الأول: إلى الإيمان بقدرة الله تعالى. الثاني: إلى الإيمان بيوم القيامة. ذلك إن الإيمان بقدرة الله هو الطريق للإيمان بالبعث، فكلما شككنا في البعث لا بد أن ننظر إلى آيات قدرة الله، لأن الشك في البعث ناتج من الشك في أسماء الله سبحانه. أما من يعرف الله حقاً فإنه لا يشك في البعث.

خلقاً جديداً

إن الإيمان بالآخرة ضمان للتفكير السليم في الحياة؛ وإن الكفار لم يكتفوا بانكار الآخرة، وإنما كانوا يسعون لتبرير اعتقاداتهم بأفكار سخيفة وشبهات واهية، منها الشبهة التالية: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَّانًا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (الاسراء/٤٩).

فكيف يبعث الإنسان وقد أضحى رفاتاً؟ هذا ما كان يتساءل الكفار عنه مستنكرين، فأجابهم الله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الاسراء/٥٠-٥١) وبديهي أن الخلق ثانية أهون من الخلق ابتداءً.

وأجاب القرآن عن شبهتهم بأن كلامهم يخضع لمقاييس المخلوقين، أما الخالق فهو على كل شيء قدير.

مستوى اليقين

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة/ ٤)

الإيمان الذي يتحلّى به المتقون، هو إيمان كامل لا يقتصر على بعض الحقائق فقط، وينحسر عما يخالف الأهواء؛ إنما هؤلاء يؤمنون بما أنزل إلى الرسول من كتاب وبما أنزل على الرسل من قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، لا يفرقون بينهم، وإيمانهم بالآخرة راسخ يصل إلى مستوى اليقين، فاذا بهم مطهرون من أي شك في يوم الجزاء. بذلك تتكامل عقائد المتقين؛ الإيمان بالله.. ثم الإيمان بالرسالات ثم الإيمان بيوم القيامة. وبالطبع الإيمان بالرسالات يدعونا إلى الإيمان بخلفاء الرسل وبامتداداتهم، كما أن الإيمان بيوم الميعاد يأتي نتيجة للإيمان بعدالة الله. وهذه هي أصول الدين الأساسية التي تشكل جوهر شخصية المؤمن.

البعث والنشور في السنة الشريفة

قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام:

"أيها الناس اتقوا الله واعلموا أنكم إليه راجعون، فتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه. ويحك يا ابن آدم الغافل وليس مغفولاً عنه، إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً، يطلبك ويوشك أن يدركك، فكأن قد أوفيت أجلك وقد قبض الملك روحك وصيرت إلى قبرك وحيداً، فردّ"

إليك روحك واقتحم عليك ملكاك منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك. ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبدته، وعن نبيك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه، وعن عمرك فيما أفنيت، وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته. فخذ جذرك، وانظر لنفسك، وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار، فإن تك مؤمناً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله، لِقَاكَ اللهُ حجتك، وأنطق لسانك بالصواب فأحسن الجواب وبُشِّرْت بالجنة والرضوان من الله، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك تلجج لسانك، ودحضت حجتك، وعييت عن الجواب، وبُشِّرْت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم يا ابن آدم إن ما وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب، يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود يجمع الله فيه الأولين والآخرين، يوم ينفخ في الصور ويعثر فيه القبور، ذلك يوم الآزفة، إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، ذلك يوم لا تقال فيه عشرة ولا تؤخذ من أحد فدية ولا تُقبل من أحد معذرة، ولا لأحد فيه مستقبل توبة، ليس إلاّ الجزاء بالحسنات والجزاء بالسيئات، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده". (٦٦)

آية للناس

روي عن أبي عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في خبر طويل يذكر فيه قصّة بخت نصر أنّه لما قتل ما قتل من بني إسرائيل خرج إرميا على حمار ومعه تين قد تزوّده وشيء من عصير، فنظر إلى سباع البرّ وسباع البحر وسباع الجوّ تأكل تلك الجيف ففكر في نفسه ساعة ثم قال: أتني يحيى الله هؤلاء وقد أكلتهم السباع؟ فأماته الله مكانه وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أي أحياه، فلمّا رحم الله بني إسرائيل وأهلك بخت نصر ردّ بني إسرائيل إلى الدنيا، وكان عزيز لما سلّط الله بخت نصر على بني إسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها وبقي إرميا مئباً مئة سنة ثمّ أحياه الله، فأول ما أحياه منه عينيه في مثل غرقى البيض فنظر، فأوحى الله تعالى إليه: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾؟ قال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾، ثم نظر إلى الشمس قد ارتفعت فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغيّر ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع إليه، وإلى اللحم الذي قد أكلته السباع يتألّف الى العظام من ههنا وههنا ويلترق بها حتّى قام وقام حماره فقال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (٦٧)

يوم الأزفة

قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: واعلم يا بن آدم إن وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب، يوم القيامة، وذلك يوم الأزفة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ﴾ (غافر/١٨).^(٦٨)

قيام الساعة

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: قال عيسى عليه السلام لجبرئيل: متى قيام الساعة؟ فانتفض جبرئيل انتفاضة أغمي عليه منها، فلما أفاق قال: يا روح الله؛ ما المسؤول أعلم بها من السائل، وله من في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة.^(٦٩)

يحيي العظام

عن الحلبي، عن أبي عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: جاء أبي بن خلف فأخذ عظماً بالياً من حائط ففته، ثم قال: يا محمد؛ إذا كنا عظماً ورفاتاً، إنا لمبعوثون خلقاً؟ فأنزل الله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس/٧٨-٧٩).^(٧٠)

يعيده كما بدأه

عن هشام بن الحكم أنه قال الزنديق للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أتى للروح بالبعث والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرقت؟ فعضو في بلدة تأكلها سباعها، وعضو بأخرى تمرّقه هوائها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط؟ قال: إنّ الذي أنشأه من غير شيء وصوّره على

غير مثال كان سبق إليه قادر أن يعيده كما بدأه. قال: أوضح لي ذلك. قال: إنَّ الروح مقيمة في مكانها؛ روح المحسنين في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً منه خلق، وما تقذف به السباع والهوامّ من أجوافها فما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإنَّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت الأرض فتربوا الأرض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللّبن إذا مخض، فيجتمع تراب كلّ قالب فيتقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيئتها وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً. (٧١)

خلقت للآخرة

إن مشكلة الإنسان هي أنه قد ينغمس في زخارف الدنيا وزبرجها الى حد كبير، بحيث ينسى أنه مسافر في هذه الدنيا وليس خالداً فيها، وينسى أن الموت ينتظره لكي ينقله الى دار الآخرة. ففي كتابه الى الإمام الحسن عليه السلام، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: "واعلم أنك خلقت للآخرة لا للدنيا، ولفناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق الى الآخرة". (٧٢)

وقال عليه السلام أيضاً: "إنك مخلوق للآخرة فاعمل لها". (٧٣)

وقال عليه السلام: "غاية الآخرة البقاء". (٧٤)

وقال عليه السلام: "وأكثر ذكر الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب الأليم، فإن ذلك يزهّدك في الدنيا ويصغرها عندك".^(٧٥)

وقال عليه السلام: "طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب".^(٧٦)

نفسك بيد غيرك

لقد جعل الله النوم واليقظة آيتين على الموت والبعث، يعايشهما الإنسان كل يوم لعله يتذكر القيامة، ويعرف أن نفسه بيد غيره، فيكيف حياته وفق هذه الحقيقة الكبرى. قال الإمام محمد الباقر صلوات الله عليه: "كان فيما وعظ به لقمان عليه السلام ابنه، أن قال: يا بني إن تك في شك من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شك من البعث فارفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك. فإنك إذا فكرت في هذا، علمت أن نفسك بيد غيرك، وإنما النوم بمنزلة الموت، وإنما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت".^(٧٧)

من كان همه الآخرة

ولأن الدنيا مزرعة الآخرة، وتكتسب قيمتها من حجم العمل الذي يقدمه الإنسان لعالم الخلود، فإن عليه أن يجعل الآخرة فوق كل همومه في الحياة حتى لا ينسى دوره الحقيقي هنا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه، جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه. ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه، جعل الله الفقر بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له".^(٧٨)

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "أفضل المسلمين إسلاماً من كان همه لأخراه، واعتدل خوفه ورجاه". (٧٩)

من أثر الدنيا على الآخرة

ويحدّثنا الإمام علي بن الحسين عليه السلام من الغفلة عن الآخرة، إذ الغفلة عنها تستعقب الندم والحسرة يوم لا ينفعان الانسان شيئاً. يقول الإمام عليه السلام: "فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة، والقدم على الله، والوقوف بين يديه. وتالله ما صدر قوم قط عن معصية الله إلا إلى عذابه، وما أثر قوم قط الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم وساء مصيرهم". (٨٠)

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "من آثر الدنيا على الآخرة حشره الله يوم القيامة أعمى". (٨١)

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "حصلوا الآخرة بترك الدنيا". (٨٢)

إذا كان يوم القيامة

وفي القيامة يُسأل العبد عن كل صغيرة وكبيرة بدرت منه في الحياة الدنيا، إلا أن هناك خطوطاً رئيسية حددتها الروايات يتم التركيز عليها أكثر من غيرها، لأنها تشكل المفاتيح الرئيسية لحياة الإنسان. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتى يسأل عن أربع؛ عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعمّا اكتسبه من أين اكتسبه وفيم أنفقّه، وعن حبنا أهل البيت". (٨٣)

اقرأ كتابك

عن خالد بن نبیح، عن أبي عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة رفع الإنسان كتابه، ثم قيل له: اقرأه. قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: إنه يذكره؛ فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم إلا ذكر كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف/٤٩) (٨٤)

قيامه المتقين

وتختلف انعكاسات يوم القيامة على الأشخاص حسب اختلاف أعمالهم ومواقفهم في الدنيا، فهي للمتقين تختلف عنها للمنافقين. وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "القيامه عرس المتقين". (٨٥)

بالدنيا تحرز الآخرة

والذين يمتنون الدنيا يخطأون في موقفهم هذا، إذ إن الدنيا هي في الحقيقة وسيلة الحصول على الفلاح في الآخرة. يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "بالموت تختم الدنيا، وبالذنيا تحرز الآخرة، وبالقيامه تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين". (٨٦)

الآخرة أمامك

وعلى المؤمن أن يستعد للقاء ربه، والاستعداد يعني العمل الإيجابي والاجتهاد الحثيث للحصول على الدرجات الرفيعة هناك. يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "استعدوا ليوم تشخص فيه الأبصار، وتتدله لهوله العقول، وتتبدل البصائر". (٨٧)

وقال عليه السلام: "اعملوا ليوم تدخر له الذخائر، وتبلى فيه السرائر".^(٨٨)
وقال عليه السلام: "إحذروا يوماً تفحص فيه الأعمال، وتكثر فيه
الزلازل، وتشيب فيه الأطفال".^(٨٩)

لا أنساب بينهم

في كتاب المناقب لابن شهر آشوب في مناقب زين العابدين عليه
السلام، قال طاوس الفقيه: رأيت يطفو من العشاء الى السحر ويتعبد، فلما
لم ير أحداً رمق الى السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك،
وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جنتك لتغفر لي
وترحمي وتريني وجه محمد صلى الله عليه وآله في عرصات القيامة. ثم بكى
وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ
عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن
سوّلت لي نفسي وأعاني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فأنا الآن من
عذابك من يستنقذني؟ وبجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ فوا سواتاه
غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا، وللمثقلين حطوا. أمع
المخفين أجوز، أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي
ولم أتب، أما أن لي أن أستحي من ربي. ثم بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح ردية وما في الورى خلق جنى كجنابتي

ثم بكى وقال: سبحانك تعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تعص،
تتودد الى خلقك بحسن الصنيع كأن لك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي

الغني عنهم. ثم خرّ الى الأرض ساجداً قال: فدنوت منه وشلت رأسه فوضعتة على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده، فاستوى جالساً وقال: من الذي أشغلني عن ذكر ربي؟ فقلت له: أنا طاوس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون؟ أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله! قال: فالتفت إليّ وقال: هيهات هيهات يا طاوس دع عني حديث أبي وأمي وجدّي، خلق الله الجنة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً. أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ والله لا ينفعك غداً إلاّ

تقدمة تقدمها من عمل صالح. (٩٠)

أحكام التقليد والبلوغ

العلماء في الكتاب والسنة

أولاً: القرآن الكريم

- من هم العلماء الذين يجب علينا إتباعهم والسير على هداهم في الحياة الدنيا؟

- فهل تكفي صفة العلم والمعرفة وحدها، أم أن هناك صفات أخرى ينبغي أن تتوفر فيهم حتى يكونوا مؤهلين لقيادة الناس، وحتى تطمئن الأمة إلى توجيهاتهم، وتثق بمواعظهم؟

في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى صفات العلماء، وتوحي بصراحة إلى أن العلم وحده ومن دون هذه الصفات الأساسية لا يُجدي نفعاً. لتتلو معاً بعض هذه الآيات ونستلهم منها مواصفات العلماء بالله.. الامناء على دينه:

١- التهجد

قال الله سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر/٩)

من صفات العالم بالله ظهور علمه على سلوكه، ومن ذلك قيامه بالليل وتهجده بين يدي الله، وبذلك نستدل على أنه يحذر الآخرة فعلاً ويرجو رحمة ربه. فعالم الدين يجعل سواد الليل وهدوءه مطية رحلته التكاملية إلى العلم الحق، ولا يكتفي بمجرد قراءة الكتب، وإنما يتوغل في عمق الحقيقة بتزكية النفس وقيام الليل.

٢- الاستغفار

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاكُم﴾ (محمد/١٩)

ومن صفات العالم بالله أنه يجعل الاستغفار شعاره الدائم، ضماناً لتواضعه في كل حال، وإلا فإن معلوماته البسيطة تصبح مادة لاستكباره وتجبره على الناس، وبالتالي تصبح حجاباً بينه وبين ربه والعياذ بالله. وينبغي أن يبدأ المستغفر بنفسه ويتوب إلى الله من ذنبه، ثم يستغفر للمؤمنين والمؤمنات .

٣- الربانية

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران/٧٩)

ينبغي أن يكون العالم ربانياً، أي: يدرك بالله منظره، ويهدك في الدنيا عمله. إنه لا يدعو إلى نفسه ولا إلى ما يرجع إليها من التحيزات الجاهلية والعصبيات القومية والعشائرية وغيرها، ولا يجعل الدين وسيلة لتكريس ذاته أو مصالحه، بل يدعو إلى عبادة الله فحسب.

٤ - الاستقلال والوحدة

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (الشورى/١٤)

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ أَتَّبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (الرعد/٣٧)

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/٧٥)

من صفات علماء الدين الصادقين إتباعهم للنصوص وعدم تحريفها حسب أهوائهم وأهواء الناس الذين ييغون رضاهم لسبب أو آخر، ونستفيد من ذلك:

أولاً: إن على العلماء وحملة الرسالة الإلهية أن يستعينوا بالله تعالى ويتوكلوا عليه في بناء صرح إستقلالهم في كل الحقول، حتى لا يتبعوا حاكماً خشية سطوته، ولا غنياً طمعاً في ماله، ولا رعاغ الناس رغبة في رضاهم.

ثانياً: ولا يكون ذلك إلا بالمحافظة على وحدة صفوفهم، والرجوع إلى ما عندهم من علم لحل خلافاتهم والا ييغوا بينهم.

ثالثاً: كما أن الزهد في درجات الدنيا، والقناعة في معاشهم، والاجتهاد في مساعيهم، يخفف من حاجتهم للناس.

رابعاً: على الناس أن ينفقوا على العلماء لكي ييقوا مستقلين عن من يريد التأثير عليهم من الأثرياء والحكومات.

خامساً: وعلى العلماء أن يتسلّحوا بكل ما يحصنهم ضد الخضوع للأقوياء من: التقاة والكتمان ، ومن الشجاعة وروح التحدي، ومن الصبر والاستقامة.

٥ - يخشون ربهم

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالِدَوَّابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمُ الْجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر/ ٢٨-٣٠)

العلماء يخشون الله حق خشيته ولذلك فهم يعبدونه حق عبادته ويجاهدون في سبيله حق جهاده. صحيح إن جميع المؤمنين يخشون الله، ولكن خشية العلماء من نوع آخر، لأنهم يعرفون آيات الله ، وبالتالي فإنهم يعرفون ربهم من خلال معرفة هذه الآيات. فما هي مواصفات العلماء الذين يخشون الله؟.

القرآن الكريم يذكر لنا هذه الصفات الواحدة بعد الأخرى. فالصفة الأولى هي تلاوة الكتاب، وهذا يعني أن علمهم مستلهم من نبع القرآن الصافي، ثم إنهم يتفاعلون مع هذا العلم فيستوعبونه ليدخل كل أنحاء وجودهم: أنفسهم، وأفكارهم، وعقولهم، ومشاعرهم، وعواطفهم، ولذلك لا يلبثون أن يخشعوا لله بمجرد رؤية آية من آيات قدرته العظيمة.

ثم يذكر القرآن الصفة الثانية وهي: إقامة الصلاة، فالإنسان الذي يتلو كتاب الله ويرى في هذا الكتاب آيات ربه ونوره لا يملك إلا أن يخشع، فتدفعه هذه الخشية إلى إقامة الصلاة.

أما الصفة الثالثة فهي الإنفاق سرّاً وعلانية: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ وفائدة الإنفاق في السرّ هي أنه يربي الإنسان على الاخلاص لله عز وجل.

٦- سعة الصدر

﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران/١٥٩)

من أبرز صفات القائد، أي قائد (سواء كان مرجعاً دينياً، أو قائداً سياسياً) سعة الصدر، والقدرة على تحمّل الناس، بما فيهم من سوء خلق وتناقض وجهل وانحراف واختلاف.

وسعة الصدر بدورها لا تتوفر للقائد إلاّ إذا كان هادفاً، يحمل في قلبه رسالة عظيمة يستهين من اجلها بالصعوبات التي يلاقيها من قبل الناس: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾ .

ويجب أن يربي القائد والعالم الرباني نفسه على صفة الليونة حتى لا تغلت منه كلمة نابية فيجر قومه إلى شرٍ مستطيرٍ. والليونة تعني الصفات التالية:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ .

فالناس قد تكون فيهم صفات سيئة وأعمال خاطئة، وعلى القائد أن يصلحها ولكن بالحكمة.

ذلك إن هذه الصفات إنما هي نتيجة ظروف تربوية واجتماعية واقتصادية معينة ، فلا يتحمل الفرد كل مسؤولياتها، وبالإضافة إلى ذلك فإن رؤية الفرد إلى تلك الصفات والاعمال قد لا تكون مثل رؤية القيادة فعليها أن تصلح رؤيتهم قبل إصلاح صفاتهم أو أعمالهم.

من هنا يجب أن تتعود القيادة على العفو، ولكن لا يعني العفو السكوت إلى الأبد عن الإنحراف، بل يجب العمل من أجل إصلاحه ، وذلك بالاستغفار (طلب الغفران من الله).

والدعاء بالمغفرة كأى دعاء آخر يجب أن يقارن بعمل مناسب، وهو محاولة الإصلاح .

ثم إن القيادة يجب أن تقوم برفع مستوى الناس وذلك عن طريق التشاور، إذ أن التشاور يجعل الناس يتحسسون بمسؤولياتهم فيفكرون في شؤونهم بجدية أكثر ، ويحاولون إصلاح أنفسهم بأنفسهم، كما أن القائد يبين للناس بالتشاور مختلف وجوه الأمر، مما يزيد معرفتهم بالحياة ويجعلهم أكثر إحساساً بواجباتهم تجاهها.

٧- خفض الجناح

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء/٢١٥)

فخفض الجناح، أي الرحمة والعطف والصفاء هي أخلاق القيادات بالنسبة إلى اتباعهم وليس الفظاظة والانكفاء والترفع.

وهكذا ينبغي على القيادات الإسلامية، وبالذات على المراجع والعلماء أن يحافظوا على هذا الخلق النبوي العظيم في علاقاتهم مع أتباعهم ومقلديهم،

ويخففون لهم اجنحة الرحمة، ويشاركوهم في أفراحهم وأتراحهم ويشاوروهم في السراء والضراء، ويزدادوا تلاحماً واندماجاً معهم. ولا شك إن هذه الاخلاق الكريمة هي أكثر تأثيراً في استقطاب الناس نحو الالتزام الديني واتباع تعاليم الشريعة من الدعوة اللسانية والتبليغ الكلامي.

ثانياً: السنة الشريفة

من خلال نظرة فاحصة في الروايات نجد أن الأحاديث الشريفة تقسم العلماء إلى علماء صادقين، وعلماء السوء، وتعدّد مواصفات كثيرة لكل من الفريقين، وإن الكثير من الروايات توجه الخطاب للناس وتحملهم مسؤولية البحث عن العلماء الصادقين ، وهذا يعني أن المجتمع ينبغي أن لا يقف موقف اللامبالاة من تقييم القادة، بل عليه أن يكون يقضاً وحذراً حتى لا يسقط في شباك علماء السوء، وبالتالي فإن الناس يتحملون مسؤولية كبرى في اختيار العالم الصادق العادل، والتأكد من توفر المواصفات الايجابية المطلوبة فيه ومن ثم إتباعه بكل طمأنينة وثقة في أمور الدين والدنيا.

فعلى المؤمن أن يستوعب موازين الشرع فيطبّقها على الرجال، فلا يجب أحداً ولا يتبعه ولا يطيعه إلاّ حسب تلك الموازين، ولا ينخدع بالدعاية لهذا أو ذاك، ولا يجعل الرجال - أيّ كانوا - ميزاناً للحق، وليعلم إن الذين أشركوا بالله وجعلوا لله أنداداً، إنما إنزلقوا إلى درك الشقاء بهذه الطريقة، فأطاعوا آباءهم أو مجتمعتهم أو كبراءهم، أو علماءهم، دون أن يفتحوا أعينهم ويحكموا عقولهم وموازن دينهم، فضلوا عن السبيل وكانوا مستبصرين.

فلنستعرض معاً بعض الروايات التي توضح لنا الموازين في هذا المجال:

١- علماء السوء

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "ويل لأمتي من علماء السوء، يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم رجحاً لأنفسهم، لا أريح الله تجارتهم". (٩١)

فالعالم الصادق مستقل عن القيادات السياسية، ولا يتبع أهواءهم ، ولا يسترضيهم بمواقفه وآرائه، ولا يطمع بما في أيديهم من حطام الدنيا. أما الذي يتاجر بما أوتي من العلم ويشترى به مصالحه الذاتية فليس جديراً بالإتباع من قبل أبناء المجتمع.

٢- العلماء قسمان

وفي حديث آخر نجد الإشارة إلى القسمين من العلماء في وقت واحد لكي يستطيع الناس من المقارنة واختيار العالم الرياني. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "علماء هذه الأمة رجلان: رجل آتاه الله علماً فطلب به وجه الله والدار الآخرة، وبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً، ولم يشتر به ثمناً قليلاً، فذلك يستغفر له من في البحور ودواب البحر والبر والطير في جو السماء، ويقدم على الله سيداً شريفاً. ورجل آتاه الله علماً فبخل به على عباد الله ، وأخذ عليه طمعاً، واشترى به ثمناً قليلاً، فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار، وينادي ملك من الملائكة على رؤوس الأشهاد: "هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً في دار الدنيا فبخل به على عباده" حتى يفرغ من الحساب. (٩٢)

٣- شرار العلماء وخيارهم

ولأن للعلماء تأثيراً مصيرياًً على مسيرة المجتمعات فإنهم يتميزون عن سائر الفئات، فشرارهم شر من كل شر، وخيارهم خير من كل خير. قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: " ألا إن شر الشر، شرار العلماء، وإن خير الخير، خيار العلماء." (٩٣)

وقيل للنبي صلى الله عليه وآله: أي الناس شر؟ قال: "العلماء إذا فسدوا." (٩٤)

وقيل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ومصاييح الدجى؟ قال: "العلماء إذا صلحوا". قيل: ومن شر خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود، وبعد المتسمين بأسمائكم...؟ قال: "العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق." (٩٥)

٤ - إحدروهم

ويأمرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن نتسلح بالحدز على أدياننا تجاه شريحة معينة من الفقهاء، حيث قال: "الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا". قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال: "إتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحدروهم على أديانكم." (٩٦)

٥ - العالم بلا هدى

والعلم سلاح ذو حدين قد يؤدي إلى إقتراب الإنسان من الله وتساميه في درجات الرفعة والعلو، وقد يؤدي إلى إبعاده عن الله مسافات واسعة،

والرسول الكريم صلى الله عليه وآله يحدد لنا مقياس هذه الحقيقة ، حيث يقول: "من ازداد علماً ولم يزد هدىً، لم يزد من الله إلا بُعداً". (٩٧)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي" قيل: يا رسول الله ومن هما؟ قال: "الفقهاء والأمرء". (٩٨)

٦- آفات العلماء

ويعطينا الإمام الصادق عليه السلام قائمة بالآفات التي قد تصيب العلماء فتخرجهم من زُمرَة الصادقين إلى فئة علماء السوء، حيث يقول: "آفة العلماء ثمانية أشياء: الطمع والبخل والرياء والعصبية وحب المدح، والخوض فيما لم يصلوا الى حقيقته، والتكلف في تزيين الكلام بزوائد الالفاظ، وقلة الحياء من الله ، والافتخار، وترك العمل بما علموا". (٩٩)

٧- العلماء الصادقون

أما العلماء الصادقون والفقهاء العدلون الذين يجدر بالناس اتباعهم فلهم مواصفاتهم المتميزة التي تتحدث عنها الروايات أيضاً:

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "الفقيه كل الفقيه من لم يُقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من رُوح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله". (١٠٠)

فإذا كان اليأس من رحمة الله، والأمن من عذاب الله، إذا كان ذلك من الذنوب الكبيرة، فإن مسؤولية الفقيه العدل أن ييث روح الأمل في الناس من

جهة، وأن يذكرهم بمكر الله وعقابه ، وبذلك يجعلهم بين الخوف والرجاء فينطلقون بروح وثابة لبناء الدنيا والآخرة.

وفي حديث آخر، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بيان مواصفات الفقيه حقاً: "ألا أُخبركم بالفقيه حقاً؟" قالوا: بلى، يا أمير المؤمنين، قال: "مَنْ لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفهّم". (١٠١)

٨ - تقربوا منهم

ويحرّض النبي الكريم صلى الله عليه وآله، المؤمنين على التقرب من العلماء الصادقين الذين يهتمون بإصلاح مسيرة المجتمع، ويعملون على تغيير سلبياته إلى إيجابيات يرضاها الله والرسول، فيقول صلى الله عليه وآله: "... وتقربوا إلى عالم يدعوكم من الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الشك إلى اليقين، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن العداوة إلى النصيحة. ولا يصلح لموعظة الخلق إلا من خاف هذه الآفات بصدقه، وأشرف على عيوب الكلام، وعرف الصحيح من السقيم، وعلل الخواطر، وفتن النفس والهوى". (١٠٢)

٩- مداد العلماء

وكما تتخذ الأحاديث الشريفة موقفاً سلبياً عنيفاً ضد علماء السوء، لأنهم يقودون المجتمع إلى الهاوية، فإنها تشيد بالعلماء الصادقين والفقهاء

العدول وتجعلهم في أرفع درجة بالقياس إلى سائر فئات المجتمع، لأنهم يقودون الناس إلى الفلاح والفوز والتقدم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء". (١٠٣)

١٠- فضل العالم

ويروي الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله: "إن فضل العالم على العابد كفضل الشمس على الكواكب، وفضل العابد على غير العابد كفضل القمر على الكواكب". (١٠٤)

وقال النبي صلى الله عليه وآله: "ساعة من عالم يتكفي على فراشه ينظر في عمله (أو علمه) خير من عبادة العابد سبعين عاماً". (١٠٥)

وجاء في الحديث عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: "فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه، ذات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عبادة". (١٠٦)

١١- ورثة الأنبياء

وقال الإمام الصادق عليه السلام: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه،

فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين". (١٠٧)

١٢- إكرام العلماء

وكما تؤكد الروايات على ضرورة أخذ الحيطة والحذر من علماء السوء، والابتعاد عنهم ورفضهم وعدم التأثير بهم، كذلك تؤكد على المؤمنين أن يوقروا العلماء الصادقين ويكرمهم، ويلتفتوا حولهم، ويمنحوهم مكانة خاصة في المجتمع.

يقول إسحاق بن عمار أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن من قام من مجلسه تعظيماً لرجل، فقال الإمام: "مكروه، إلا لرجل في الدين". (١٠٨)
وقال عليه السلام أيضاً: "من أكرم فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض، ومن أهان فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان". (١٠٩)

١٣- واجب الناس: الإتياع

وهؤلاء العلماء هم الذين ينبغي إتياعهم والسير على خطاهم وتقليدهم أمور الدين والدنيا. يقول الحديث المشهور المروي عن الإمام العسكري عليه السلام: "... فأما مَنْ كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم...؟" (١١٠)

١٤- الاتّاعظ بهم

وهكذا يأمرنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن نستضيء بنور كل عالم صادق متعظ، وأن نقبل نصحه ووعظه حيث يقول: "إستصحبوا من شعلة

واعظ متّعظ، واقبلوا نصيحة ناصح متيقظ، وقفوا عند ما أفادكم من التعليم". (١١١)

مسؤولية العلماء

١- العلم بالزمان

على علماء الدين أن يتعرفوا على الحياة جيداً ، ليكونوا على معرفة تامة بشؤون الحياة في مختلف الحقول في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية، وسبل مقاومة الطغاة والظلمة وإقامة العدل والقسط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعلى علماء الدين التعرف على رأي الاسلام بهذا الركام الضخم من المعلومات التي تزحف إلينا يومياً من الغرب ثم البحث على ضوء ذلك عن حلول للمشاكل الحضارية التي تعيشها بلادنا، كمشاكل التنمية وتحرير الشعوب من الفقر والجهل والحرمان.

وهكذا تكون الولاية للعلماء لأن العالم يعرف الزمان واهله وأحكام الدين في شؤون الحياة.

لذلك فإن المجتهد المتجزئ الذي يتمكن من استنباط الأحكام في بعض أبواب الفقه لا جميعها، انه لا يصلح لمنصب المرجعية العامة، لأن الفقيه المرجع يجب أن يكون فقيهاً مطلقاً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: "العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوايس". (١١٢)
وجاء عن الإمام علي عليه السلام: "حسب المرء . . . من عرفانه، علمه بزمانه". (١١٣)

وقال أيضاً: "لا يتحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر، والبصر، والعلم بمواقع الأمر". (١١٤)

وقال الإمام الرضا عليه السلام حول أوصاف الإمام: "... مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة". (١١٥)

٢- التوجيه الثقافي

ومن مسؤوليات الفقيه العادل وعالم الدين التصدي للتوجيه الثقافي في الأمة بكامل مسؤولياته وأعبائه وتحدي عقباته.

ذلك لأن الثقافة الإسلامية هي وحدة متناسقة تجري فروعها على أصولها، وتشهد أصولها على فروعها، ولا بد أن يكون الموجه الثقافي محيطاً بكل جوانب الثقافة الإسلامية، من هنا كان "الفقه" شرطاً أساسياً للموجه الثقافي.

ومن الواضح إن المعرفة فقط ليست كافية لإعطاء الأمة ثقافة صافية، فلا بد من وجود "العدالة" التي تحصن المعارف ضد الأهواء النفسية، والانحرافات الخارجية.

إذن فالفقيه العادل هو أجدر من يقوم بالتوجيه الثقافي للأمة. جاء في حديث ماثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يحمل هذا الدين - في كل قرن - عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير حُثب الحديد". (١١٦)

٣- إدارة المجتمع

وعلى العلماء أن يتصدوا للشؤون العامة، وأن يطالبوا بحقهم في إدارة المجتمع سياسياً واقتصادياً وثقافياً، رافضين العزلة والانطواء على الذات

والابتعاد عن الناس، ولهم في النبي يوسف عليه السلام أسوة، حيث طالب بحقه في إدارة البلاد حينما وجد الظروف مؤاتية: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف/٥٥)

فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم حكام على الملوك، وهم الذين يخشون الله من عباده، وهم الذين مجاري الأمور بأيديهم.

٤ - الاعلان عن الحق

ومن المسؤوليات العظيمة التي يتحملها العلماء إظهار الحق والصدع به لاستقطاب الناس حوله. ذلك لأن كتمان الحق عن الناس مع سبق إرادة وعلم، من الوسائل المستخدمة في نصره الباطل واعانة الظالمين. قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/٤٢)، وقال أيضاً: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران/٧١).

وقد يكون كتمان الحق خشية من الطغاة، أو رغبة في رضا الأثرياء من أسباب الضلالة عند البشر، وقد أخذ الله ميثاق العلماء بأن لا يداهنوا أحداً في نشر الحق وألا يكتموه ولا يشتروا به ثمناً قليلاً، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّنَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران/١٨٧)

ومن هذه البصائر القرآنية نستوحي ما يلي:

أولاً: إن منطق العلماء ينبغي أن يكون مشكاة نور الحق، ولو سكت العالم عما يحتاج إليه الناس من بيان آيات الله ، ودلائل صدق الرسالة والولاية، وفضح البدع وأهلها، وحكم الله في الفتن ومن يدعو إليها، فإن قوام الدين يتزلزل.

ثانياً: وهكذا تتأكد ضرورة بيان حكم الله في التيارات الثقافية والسياسية الوافدة وفضحها بواسطة العلماء الصادقين. فلو سكت العلماء عن هذه التيارات لبقى الناس في عمى وضلّوا سبيل الهدى.

ثالثاً: ومن تلك التيارات الضالة والوافدة والتي أثرت أو تؤثر في ثقافة الأمة، ما نشرت أو تنتشر من الفلسفات اليونانية القديمة أو الأوروبية الحديثة، والتي تتناقض مع بصائر الوحي.

٥ - حفظ الكتاب

وقد حمّل الله العلماء (الأخبار) مسؤولية حفظ كتاب الله من التحريف والتزييف، وارتقى بهم إلى درجة الشهادة على الناس في تطبيق الكتاب، فأصبحوا حجة على الناس، ومصدر فتوى، ومرجع تقليد، ومركز الثقل في الأمة، قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة/٤٤)

وتتطلب الشهادة على الناس أن يكون العلماء بالله والدعاة إلى الله عارفين بعصرهم وبالحوادث المؤثرة فيه، وأن يزنوا كل الحوادث الواقعة بميزان الوحي ، ويصدعوا بالموقف الديني فيها حتى يظهر الحق، وتتم الحجة والله المستعان.

٦- الناس والعلماء

وعلى الناس أن يبحثوا عن العلماء الصادقين في تحمل مسؤولياتهم الذين يقولون الحق ولا يخشون أحداً إلا الله، ولا يفتشوا عن علماء يسهلون عليهم الشريعة حسب أهوائهم أو يسترضونهم على حساب دين الله تعالى، فقد أندر الله سبحانه هذا النوع من العلماء بالويل في قوله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة/٧٩)

٧- الاتباع الشامل

وينبغي إتباع العلماء الربانيين في كل حقول الحياة، حتى تكون صبغة حياة الناس إلهية بعيدة عن الأهواء، إبتداءً من تنظيم الاقتصاد والسياسة، وانتهاءً بإدارة البيت والأسرة ومروراً بسائر حقول الحياة من تربية وتعليم وتثقيف وإعلام، ومن إدارة البلديات والمرور وما إليها.

أما إتباع الآباء لأنهم آباء ومن دون ملاحظة قيمة العلم والهدى فهو أمر مرفوض، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ

اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿المائدة/١٠٤﴾

٨ - الرقابة الاجتماعية

وعلى المجتمع الإسلامي النظر في أمر العلماء نظر تمحيص، وكذلك
النظر إلى قياداته وموجهيه من الخطباء والكتاب، فلا يسترسل في إتباعهم أو
التأثر بهم، بل يحص بعقله وبموازين دينه أفعالهم وأقوالهم، وقيّم مواقفهم
بدقة، وإلا فإنه قد يضل السبيل ولا يعذر في ذلك عند ربه.

هذه البصيرة نستوحىها من كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما
يوجه الناس إلى مسؤولياتهم الخطيرة تجاه العلماء، فيقول: "فاتقوا الفاسق من
العلماء والجاهل من المتعبدين". (١١٧)

كما نستلهم هذه البصيرة من كلمة الإمام الصادق عليه السلام أيضاً
حينما يحرض الناس للعمل بمسؤولياتهم في تمحيص العلماء: "إذا رأيتم العالم
محباً للدينا فاهتموه على دينكم، فإن كل محب يحوط ما أحب". (١١٨)

ومن جهتهم ينبغي على العلماء ألا يسمحوا لبعض أتباعهم بوضعهم
فوق مواضعهم، والتعصب الأعمى لهم، والاسترسال في طاعتهم لأنه مظنة
الضلالة. هذا ما أوصى به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشر في
عهده إليه، قائلاً: "والصق بأهل الورع والصدق، ثم رُضهم على ألا يطروك
ولا يجحوك (لا يُفرحوك) بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو،
وتدني من العزة". (١١٩)

العلاقة بين الناس والمرجعية

١- يشترك الناس والعلماء في معرفة محكمات الكتاب، والسنة التي لا ريب فيها، وما أجمعت عليه الأمة من ضرورات الدين؛ مثل إقامة القسط وتجنب الشرك وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وهذه الحقائق هي النقاط المشتركة بين عامة الناس وهي التي يتحمل الجميع مسؤولية تطبيقها في الواقع سواء العلماء والعامة، وهي القيم التي تراقب أبناء الأمة بحكامها وقادتها وعلماءها فمن شذ منها شذ الى النار. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران/ ١١٤)

﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة/ ١-٥).

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
مُخْتَلًا فُخُورًا﴾ (النساء/٣٦)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ
أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا
تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا﴾ (النساء/١٣٥)

وهكذا تجد في آيات الكتاب تبياناً للسنن الإلهية، وللکلمات والوصايا
والأحكام وقد يسترها ربنا سبحانه للناس لكي يتذكروا.

وهذه هي المثل العليا التي تركزها کلمات الوحي في وعي الأمة، وهي
محکمات وأصول وحدود واحکام لا يعذر أحد في تجاهلها أو تغافلها،
وكذلك فإن خطاب القرآن فيها موجة إلى عامة الناس سواء كانوا فقهاء
وعلماء أو لم يكونوا..

وهي - في ذات الوقت - الميزان الذي تختار به الأمة قيادتها الرشيدة وتراقب
نهج حکامها وسياسيها، وتساهم في تسديدهم وفي اختيار السبل الأمثل.
وهذه القيم هي بالمثلات ولن تجد مثيلاً لها في مختلف مبادئ العالم
ومذاهبه لا من حيث التنوع ولا من حيث الغنى والتناسق.

فهي تشمل الحكمة التي توحى بحرمة الشرك والتسليم لغير الله، واحترام
العلاقات الأسرية، وتنهي عن القتل والزنا والإسراف، وتأمُر بالعدل

والإحسان والانفاق، وتنظم علاقة البشر بالبيئة، وتزكيهم من الحمية والحقد والتعالي، وتريهم على التعارف والتعاون والصبر والاستقامة ومعالي الاخلاق. وترسم لهم حدود الظلم والعدوان، وتحذرهم من الاقتراب منها، وتهديهم الى سبل السلام في سلوكهم الحياتي.

وتنهاهم عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحرم عليهم الخبائث، وتدعوهم الى التمتع بالطيبات وبما في الحياة من زينة. وتثير لهم درب التكامل العلمي، وتثير لهم دفائن العقول، وتهديهم الى صراط العزيز الحميد.

٢- ولإيمان الناس بالدين وبأحكامها الشريفة، ولأن في أحكامها الكثير من الفروع المتشابهة، فلا بد أن يرجعوا فيها إلى العلماء . فهم المسؤولون عن تبيان أحكام الدين للناس وعلى الأمة الطاعة لهم فيها والتسليم لما استنبطوه من مصادر التشريع لأنها حكم الله فيهم.

قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء/٨٣) .

٣- ومن أبرز ما يرجع الناس فيها الى العلماء هو أمر القضاء فيما يختلفون فيه. فإذا قضاوا بينهم بحكم الله فلا يجوز لأحد منهم التمرد على حكم الله وقد قال الله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿النساء/٦٥﴾.

وفي الحديث المقبول والمروي عن عمر بن حنظلة أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وما أمر الله أن يكفر به. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حالنا وحرماننا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله، وهو على حد الشرك بالله. (١٢٠)

٤- وفي غير ما يتصل بالدين من الأمور العلمية يرجع الناس إلى ذوي الاختصاص، مثل ما يتصل بالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والجغرافيا وكثير من فروع الاقتصاد والسياسة.

٥- وأما الأمور العرفية التي تتصل بمصالح الناس وأمور معاشهم فإن على الناس أن يتشاوروا فيما بينهم ويعملوا بما تجمع عليه أكثرتهم. مثل الشؤون البلدية والقروية وانتخاب من يرويه صالحاً لإدارة شؤونهم الحياتية.

قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشورى/٣٨)

وقال النبي الكريم صلى الله عليه وآله: "إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم، وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها.." (١٢١)

٦- ولأن دين الله مهيمن على أبعاد الحياة فلا بد أن تصبغ حياة الأمة بأحكامه فقد قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾ (المائدة/٤٨) .

ولأن مرجعية أحكام الدين هم الفقهاء فلا بد أن تكون المؤسسات الاجتماعية كلها في إطار نظر الفقهاء. شريطة أن تكون للناس الرقابة الواعية على ذلك النظر انطلاقاً من:

ألف/ محكمات الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة من ضرورات الدين لضمان استقامة الجميع على خط الإسلام اللاحب.

باء/ والناس يختلفون، واختلاف الناس جزء من حكمة خلق الله للبشر وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا وليتنافسوا في المكرمات ويسارعوا في الخيرات.

وهكذا لا بد من احترام الآراء المختلفة والاجتهادات المتفاوتة ولا يجوز لأحد أن يصادر الدين وأحكامه ويفرض قراراته الخاصة واجتهاده الشخصي على الأمة.

قيل لرسول الله ما الحزم؟ قال: "مشاورة ذوي الرأي واتباعهم". (١٢٢)

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

"إضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب". (١٢٣)

"أفضل الناس رأياً من لا يستغني عن رأي مشير". (١٢٤)

"من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها". (١٢٥)

"خاطر بنفسه من استغنى برأيه". (١٢٦)

"لا رأي لمن انفرد برأيه". (١٢٧)

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

"المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل". (١٢٨)

جيم/ ومن طبيعة هذا الاختلاف تنشأ التيارات المختلفة في الأمة، التي نعتبرها كلها مشروعة ومحترمة مادامت لا تشذ عن قواعد الدين وتتبع أحد المجتهدين.

دال/ ولأن هذه التيارات تتحرك ضمن دائرة الدين وفي إطار قيمه المباركة، فإنها لا تتناقض ولا تتحارب، بل تتحاور وتتنافس وتتسابق الى الخيرات، إتباعاً لأمر الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد/٢١)

وإذا أحسوا بالخطر على الأمة ومقدساتها توحدت جهودهم في مواجهتها، انطلاقاً من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج/٧٨)،

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران/١٠٥)

هاء/ وهكذا تتوفر في الأمة أرضية تنامي وتكامل المؤسسات الاجتماعية
المختلفة سواء في حقل السياسة أو الاقتصاد أو في حقل الثقافة والاجتماع
أو في حقل الرياضة والتربية.

إنّ هذه المؤسسات التي تضم التنظيمات والحركات والهيئات الحسينية،
والصناديق الخيرية والشركات المحدودة والاتحادات الطلابية والنوادي الرياضية
والتجمعات الثقافية والإعلامية إنّها تدعم مسيرة الأمة الصاعدة وتنشط روح
التنافس البناء، وتدعم روح الوحدة والتعددية.

أحكام التقليد

ما هو التقليد؟

١- الإسلام خاتم الرسالات الإلهية، وهو منهج كامل يشمل كل جوانب حياة الإنسان من العقيدة والاخلاق والعبادة والسلوكيات الفردية والاجتماعية، والعلاقة مع كل ما في الكون.

٢- ومن يرتضي الإسلام ديناً لنفسه فلا بد ان يأخذ بمنهج الإسلام بشكل كامل في كل مجالات حياته، ويكيّف كل سلوكياته وأعماله وفق أحكام الشريعة.

٣- وهذا الأمر يتطلب من المسلم البالغ أن يكون عارفاً بما يحتاج من أحكام الشريعة وبصائرها حتى يستطيع تطبيقها في حياته.

٤- ومعرفة أحكام الشريعة تتوفر عن أحد طريقين:

ألف: أن يقوم الإنسان شخصياً باستنباط الأحكام من مصادرها الأصلية وهي: القرآن، والسنة، والعقل، والاجماع (وهذه العملية هي الاجتهاد بالمعنى الفقهي) ثم العمل بها، ويتطلب هذا العمل جهداً ووقتاً كبيرين مما لا يتوفر لكل الناس.

باء: أن يتبع من يثق به ممن اجتهدوا واستنبطوا الأحكام الشرعية من

مصادرها وهو ما نسميه بالتقليد^(١٢٩) فالتقليد هو العمل بقول المجتهد الذي تتوافر فيه الشروط التي سنذكرها لاحقاً إن شاء الله .

٥- من هنا ترى ان أكثر المؤمنين يقلدون المجتهدين في التعرف على أحكام الشريعة، وبالتالي يقتدون بهم في حياتهم، ويتخذونهم قيادات لهم في مختلف شؤون الحياة.

وبهذا الأسلوب الذي يؤيده عقل الإنسان وفطرته يستطيع المسلم أن يطمئن إلى أن حياته بشكل عام تسير وفق المنهج الإسلامي المطلوب ويبرء ذمته من المسؤوليات الملقاة على عاتقه.

العمل بلا تقليد ولا اجتهاد

٦- إذا عمل الإنسان دون اجتهاد أو تقليد كان عمله باطلاً إذا لم يصادف وقوعه موافقاً للواقع المطلوب منه أو لما كان وظيفته حسب رأي المجتهد الذي يقلده الآن.

تقليد الميت

٧- المشهور بين فقهاءنا قديماً وحديثاً عدم جواز تقليد المجتهد الميت ابتداءً^(١٣٠) وهذا الرأي موافق للاحتياط، وبالذات في المسائل التي يُظن أن تطور الفقه قد أدى إلى اتساع وتطور مجالات اجتهاد المجتهد الحي بالنسبة إلى المجتهد الميت.

الأعلمية

٨- الاقوى عدم وجوب تقليد المجتهد الأعلم، بلى، الأولى انتخاب الأفضل تقوىً وعلماً وكفاءةً.

٩- إذا لم يكن للمجتهد الذي يقلده فتوى^(١٣١) في مسألة معينة، جاز الرجوع في ذلك إلى مجتهد آخر.

١٠- الاقوى جواز العدول (الانتقال) عن تقليد مجتهد حي إلى تقليد مجتهد حي آخر، سواء كان الثاني أعلم أم لم يكن.

شروط مرجع التقليد

١١- لا يكفي مجرد القدرة على الاستنباط والاجتهاد في جواز أخذ الدين وأحكامه من شخص، بل لابد ان تتوفر فيه الشروط التالية -بالإضافة الى الاجتهاد-

ألف/ البلوغ.

باء/ العقل.

جيم/ الايمان.

دال/ العدالة.

هاء/ الرجولة (الذكورة).

واو/ الحياة.

زاء/ طهارة المولد، أي أن لا يكون ولد زنا.

كيف نعرف المجتهد؟

١٢- قبل أن نقلد احداً يجب التأكد من بلوغه درجة الإجتهد، ولكن

كيف تحصل المعرفة بذلك؟ الجواب: بإحدى الطرق التالية:

ألف/ المعرفة المباشرة، كما لو كان المقلد من أهل الخبرة بأمر الشريعة

بحيث كان يستطيع أن يعرف من هو المجتهد ويميزه عن غيره.

باء/ الشيعاء المفيد للإطمئنان العربي.

جيم/ إخبار شخصين عادلين من أهل الخبرة باجتهاده.
دال/ الظاهر إن المعرفة تتم أيضاً إذا أخبر الثقة الواحد بذلك شريطة ان يورث إخباره اطمئناناً لدى العقلاء (العرف العام).

تقليد المتجزئ

١٣- لا يشترط أن يكون المجتهد مجتهداً في جميع الفقه، بل يجوز تقليد المتجزئ (وهو المجتهد في بعض أحكام الفقه وليس كلها جميعاً) تقليده فيما استنبط من احكام الشرع، ولكنه لا يصلح لمنصب المرجعية العامة لحاجتها الى استنباط الفقه في كل المسائل.

ما هي العدالة؟

١٤- العدالة عبارة عن روح التقوى، والشاهد على توفرها في الإنسان هو تمسكه بحدود الله وأحكامه جميعاً، ويمكن معرفة ذلك عن طريق حُسن الظاهر الكاشف عرفاً عن الواقع.
وتعني العدالة فيما تعني: أن لا يكون المجتهد متكالباً على الدنيا، مجدداً في الحصول على حطامها.

١٥- إذا فقد المجتهد أحد الشروط المذكورة (كالعقل أو العدالة مثلاً) وجب على المقلد العدول عنه إلى مجتهد آخر جامع للشرائط.
١٦- على المكلف أن يعلم بفراغ ذمته من تكاليفه، أي ان يعلم أنه قد عمل بما يجب عليه شرعاً سواء عن طريق العلم بتفاصيل وأجزاء العبادات وشرائطها وموانعها ومقدماتها وأحكام المعاملات والعقود، أو عن طريق

متابعة شخص عارف بالحكم موثوق في العمل كالحاج الذي يتبع مرشد الحملة دون معرفة بتفاصيل أعمال وواجبات الحج مسبقاً.

فيمَ يجب التقليد؟

١٧- التقليد واجب على غير المجتهد في الواجبات والمحرمات. أما المستحبات والمكروهات فلا يجب فيها التقليد، بل يكفي أن يتأكد المؤمن أنها ليست واجبات أو محرمات، فإذا عمل بها بعدئذ رجاء الثواب كفى، ويكفي كذلك الرجوع الى كتب الأدعية والآداب التي كتبها الموثوقون من علمائنا.

أما في الأمور العادية فيجب أن يتأكد أنها ليست مخالفة للشرع.

١٨- إذا قلّد مجتهداً، ثم شك في كونه جامعاً لشرائط التقليد، فإن كان الشك في بقاء الشروط واستمرارها فيكفيه اليقين السابق بها، حيث يعتبر الشروط باقية ما لم يتأكد لديه بدليل شرعي انها قد زالت، أما إذا كان الشك في أصل توافر الشروط فيه، فعليه الفحص والتحقيق في أمر تقليده اما أعماله السابقة فهي صحيحة إن شاء الله تعالى.

الشك في التقليد

١٩- إذا مضت على بلوغ الفرد فترة من الوقت، ثم شك بعد ذلك: هل كانت أعماله حتى الآن عن تقليد صحيح أم لا؟ بنى على صحة أعماله السابقة، إلا أن عليه التأكد من صحة تقليده من الآن فصاعداً.

التبعيض

٢٠- يجوز التبعيض في التقليد، أي أن يأخذ أحكام العبادات مثلاً من مجتهد، وأحكام المعاملات من مجتهد آخر، ولكن ينبغي أن يلتفت المكلف

بأن يخلص لله سبحانه وتعالى في إختيار المجتهد الذي يقلده ولا يتبع هوى نفسه في ذلك.

٢١- إذا أخطأ شخص في نقل فتوى المجتهد للآخرين، يجب عليه إعلامهم بذلك، كما يجب على المجتهد الإعلام فيما إذا أخطأ في بيان فتواه.

أحكام البلوغ

لقد رفع الله سبحانه بمنه وفضله قلم التكليف والمؤاخذة عن الطفل حتى يبلغ أشده، فمتى يبلغ الطفل وما هي علامات بلوغه؟. الطفل يتدرج في مراحل النمو حتى يصل الى مرحلة تحدث عنده طفرة نوعية في جسمه وعقله وشخصيته، فلا يعود بعدها طفلاً في عرف الناس، بل يصبح الصبي رجلاً وتصبح الصبية امرأة .

ولقد بين علماء الطب قديماً وحديثاً كيف تتم هذه الطفرة وما هي عواملها وما هي آثارها، ولكن هذه التفاصيل لا نهمنا كثيراً، بل المهم هو معرفة وقت البلوغ بالضبط حتى يتحمل الطفل مسؤولياته الشرعية. وفي كتاب ربنا سبحانه إشارات إلى البلوغ، كما في السنة الشريفة تبيان مفصّل.. فأليك بعضاً من تلك النصوص:

البلوغ في القرآن الكريم

١- ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ

غِيًّا فَلَيْسَتْغْفِفُ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿النساء/ ٦﴾

٢- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ﴾ (الانعام/ ١٥٢)

٣- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور/ ٥٩)

بصائر الآيات

١- متى ينقطع يُثم الطفل فيجب على وليه دفع أمواله إليه؟ عندما يبلغ
النكاح، (ويُصبح رشيداً جسدياً بحيث يستعد جسمه للإيجاب ذكراً كان أو
أنثى) فإذا كان رشده العقلي كافياً للتصرف في أمواله دُفعت إليه.

٢- وينبغي التصرف في أموال اليتامى بما فيه أفضل مصالحهم حتى إذا
بلغوا أشدهم وبلغوا الرشد في أجسامهم وعقولهم دُفعت إليهم أموالهم.
والأشد في هذه الآية يُفسرها بلوغ النكاح في الآية السابقة، لأن الجسم
لا يبلغ أشده إلا بالاستعداد للنكاح، وقد ورد في تفسير الآية أن المراد من
بلوغ الأشد الاحتلام.

روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله أبي وأنا
حاضر عن قول الله عز وجل: "حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ"، قال: الاحتلام، قال:
فقال: يحتلم في ست عشرة وسبع عشرة سنة ونحوها، فقال: لا إذا أتت

عليه ثلاث عشرة سنة كتبت له الحسنات وكتبت عليه السيئات، وجاز أمره إلا أن يكون سفيهاً أو ضعيفاً، فقال: وما السّفيف؟ فقال: الذي يشتري الدرهم بأضعافه، قال: وما الضعيف؟ قال: الأبله. (١٣٢)

٣- والحُلْم -حسب اللغة- ما يراه النائم، ويُكنى به عن الشهوة الجنسية لأنها تظهر عند الشاب في رؤياه وهي عبارة أُخرى عن بلوغ النكاح، ولا يكون إلا عند من يدرك ويظهر على عورات النساء، حيث جاء في آية كريمة انه لا يجب على النساء الحجاب من الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء.

نستفيد من الآيات الكريمة إن أهم علامة لبلوغ الطفل وإدراكه، إستعداده للإنجاب (النكاح-أشدّه- الحُلْم).

البلوغ في السنة الشريفة

١- في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: "يا علي، لا يُتَمَّ بعد إحتلام". (١٣٣)

٢- وفي خبر آخر: "على الصبي إذا احتلم الصيام، وعلى المرأة إذا حاضت الصيام". (١٣٤)

٣- عن عبد الله بن الحسن، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى ابن جعفر عليه السلام قال: سألته عن اليتيم متى ينقطع يُتمه؟ قال: إذا احتلم وعرف الأخذ والعطاء. (١٣٥)

٤- روي أنّ امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن المرأة ترى في المنام مثل ما يرى الرجل؟ فقال صلى الله عليه وآله: أتجد لذّة؟ فقالت: نعم، فقال: عليها ما على الرجل. (١٣٦)

٥- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إذا بلغ الغلام ثلاث عشرة سنة كتبت له الحسنه وكتبت عليه السيئة وعوقب، وإذا بلغت الجارية تسع سنين فكذلك وذلك أنّها تحيض لتسع سنين". (١٣٧)

٦- سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن ابن عشر سنين يحج؟ قال: "عليه حجة الإسلام إذا احتلم، وكذلك الجارية عليها الحج إذا طمئت". (١٣٨)

٧- روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: "إذا حاضت الجارية فلا تصلي الا بخمار". (١٣٩)

٨- روي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث أنه قال: "الجارية إذا تزوجت ودخل بها ولها تسع سنين ذهب عنها اليثم، ودفع إليها مالها وجاز أمرها في الشراء والبيع، قال: والغلام لا يجوز أمره في الشراء والبيع، ولا يخرج من اليثم حتى يبلغ خمس عشرة سنة، أو يحتلم أو يشعر أو ينبت قبل ذلك". (١٤٠)

٩- قال عمار الساباطي سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الغلام متى تجب عليه الصلاة قال: "إذا أتى عليه ثلاث عشرة سنة، فإن احتلم قبل ذلك فقد وجبت عليه الصلاة وجرى عليه القلم، والجارية مثل ذلك إن أتى لها ثلاث عشرة سنة أو حاضت قبل ذلك فقد وجبت عليها الصلاة وجرى عليها القلم". (١٤١)

الأحكام

- ١- البلوغ حالة فطرية عند البشر - كما في سائر الأحياء- فإذا عرفها الإنسان بأية وسيلة فقد ترتبت عليه أحكامه.
- ٢- وقد بين الوحي علامات للبلوغ تدل عليه، وعادة تتزامن هذه العلامات ولكن يمكن الاكتفاء بواحدة منها إذا لم نعرف يقيناً تخلفها عن الحقيقة.
- ٣- علامات البلوغ هي التالية:

ألف/ الاحتلام

وهي بروز شهوة الجنس عند الفرد، اما بالنوم أو اليقظة، وذلك بخروج المني وما يصاحبه من الرعشة الجنسية (الشهوة - النتر- اللذة - الفتور) ولا فرق في ذلك بين الذكر والانثى، ولا بين أن يكون ذلك بمشعر خارجي كالاستمناء أو داخلي كالرؤيا، ولا يجب ان يخرج المني فإذا عرف وجود استعداد النكاح كفى.

باء/ إنبات الشعر

ومن علامات البلوغ عند الجنسين إنبات الشعر الخشن على العانة (وهي فوق موضع الجنس) وهذه العلامة تعم الذكر والأنثى.

جيم/ الطمث (للأنثى)

ومن العلامات المهمة عند الانثى الطمث، فبمجرد رؤية دم الحيض تعتبر الجارية بالغة، حتى قبل أن تنتظم دورتها الشهرية.

دال/ الحمل (للأنثى)

والحمل علامة على سبق البلوغ عند الانثى.

هاء/ السنن

ويتحقق البلوغ عند الصبي -عادة- عند إكمال الخامس عشر من عمره، وعند الصبية بإكمال الثاني عشر. وقد تبلغ الصبية بإكمال السنة التاسعة في بعض البلاد والظروف.

وقد جعل المشهور من فقهاءنا الكرام إكمال السنة الخامسة عشرة للذكور، وإكمال السنة التاسعة للصبايا حداً للبلوغ. وقد وردت أحاديث شريفة في كل من هذين التحديدين. بينما الآيات القرآنية وأحاديث النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم بيّنت العلامات السابقة وهي أصول محكمات ترد إليها الفروع المتشابهة، وإن كان العمل بتحديد العمر عند الصبية بإكمال التاسعة أحوط فيما لا تكون للاحتياط مضاعفات سلبية، أو أضرار على صحتها، والله العالم.

٤- إذا تخلّف الطفل بسبب مرض أو غيره عن بلوغ أشده، وعلمنا بأنه لا يزال في مرحلة الطفولة فلا بلوغ حتى ولو تجاوز العمر المحدّد (١٦ سنة عند الذكر مثلاً).

٥- وإذا تقدّم البلوغ لعارض واكتملت بنية الطفل (الصبي والصبية) وظهرت علامات البلوغ ترتبت عليه آثاره، شريطة أن نعرف يقيناً أنه قد أدرك وتم رشده.

الفهرس

المقدمة ٣

أصول العقائد

٥

تمهيد ٧

الفصل الأول: عن التوحيد

التوحيد في القرآن الكريم ١٠

التوحيد في السنة الشريفة ١٤

الفصل الثاني: عن العدل

العدل في القرآن الكريم ٢٢

العدل في السنة الشريفة ٢٤

الفصل الثالث: عن الرسالة والرسول

الرسالة والرسول في القرآن الكريم ٢٨

الرسالة والرسول في السنة الشريفة ٣٤

الفصل الرابع: عن الإمامة والإمام

الإمامة والإمام في القرآن الكريم ٤١

الإمامة والإمام في السنة الشريفة ٤٤

مسؤوليتنا تجاه الإمام عليه السلام ٥٢

الفصل الخامس: عن البعث والنشور

البعث والنشور في القرآن الكريم ٥٦

البعث والنشور في السنة الشريفة ٦٥

أحكام التقليد والبلوغ

..... ٧٧

العلماء في الكتاب والسنة ٧٩

أولاً: القرآن الكريم ٧٩

ثانياً: السنة الشريفة ٨٥

مسؤولية العلماء ٩٢

العلاقة بين الناس والمرجعية ٩٩

أحكام التقليد ١٠٦

أحكام البلوغ ١١٢

البلوغ في القرآن الكريم ١١٢

البلوغ في السنة الشريفة ١١٤

الأحكام ١١٦

-
- (١) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٤١، باب ١٢٣، ح ٢.
- (٢) للمزيد من التفاصيل يراجع كتابنا "الفكر الإسلامي مواجهة حضارية" و "العرفان الإسلامي".
- (٣) آيات القرآن الحكيم حول الإيمان بالله وتوحيده كثيرة جداً، وقد ذكرنا هنا عدة نماذج بما يتناسب وحجم هذا البحث الموجز.
- (٤) بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٤.
- (٥) تحف العقول، ص ٣٥.
- (٦) الاصول من الكافي، ج ١، ص ٦٧.
- (٧) بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٥٣.
- (٨) التوحيد للصدق، ص ٤٥-٤٦.
- (٩) الاصول من الكافي، ج ١، ص ٧٢.
- (١٠) التوحيد للصدق، ص ٩٦.
- (١١) التوحيد للصدق، ص ٤٧.
- (١٢) الاصول من الكافي، ج ١، ص ٦٧.
- (١٣) الاصول من الكافي، ج ١، ص ٧٣.
- (١٤) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٥٩.
- (١٥) الاصول من الكافي، ج ١، ص ٧٢.
- (١٦) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣.
- (١٧) المصدر، ص ٣.
- (١٨) التوحيد للصدق، ص ٢٤.
- (١٩) المصدر، ص ٢٠.
- (٢٠) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٨.
- (٢١) نصح البلاغة، خطبة رقم ١٨٥.
- (٢٢) نصح البلاغة، خطبه رقم ١٩١.
- (٢٣) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٤٠.
- (٢٤) بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٩.
- (٢٥) المصدر، ص ٥٩.
- (٢٦) المصدر، ص ٤٤١.

-
- (٢٧) بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٤٨.
- (٢٨) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٩.
- (٢٩) نَهج البلاغة، خطبة رقم ١٤٧.
- (٣٠) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٠.
- (٣١) نَهج البلاغة، خطبة رقم ١٤٤.
- (٣٢) تحف العقول، ص ٢٨٥.
- (٣٣) غرر الحكم، ص ١٣٣.
- (٣٤) تحف العقول، ص ٢٨٥.
- (٣٥) إجتألتهم: صرقتهم عن قصدهم.
- (٣٦) اوصاب: متاعب.
- (٣٧) نَهج البلاغة، خطبة رقم ١.
- (٣٨) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٧.
- (٣٩) تناسختهم: تناقلتهم.
- (٤٠) نَهج البلاغة، خطبة رقم ٩٤.
- (٤١) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٠.
- (٤٢) اليناع: التل المشرف وكل أرض مرتفعة.
- (٤٣) تحف العقول، ص ٣٢٢-٣٢٤.
- (٤٤) الاصول من الكافي، ج ١، ص ١٥٠.
- (٤٥) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٩٧.
- (٤٦) الأصول من الكافي، ج ١، ص ١٣٨.
- (٤٧) بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٢٦٦.
- (٤٨) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٨.
- (٤٩) المصدر، ص ٧٨.
- (٥٠) الاصول من الكافي، ج ١، ص ١٤٤.
- (٥١) المصدر، ص ١٦٢.
- (٥٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، لطف الله الصافي، ص ٢٤.
- (٥٣) المصدر، ص ٢٨.
- (٥٤) المصدر، ص ٣٢.
- (٥٥) المصدر، ص ٥٦.

-
- (٥٦) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٧٨، ح ١.
- (٥٧) المصدر، ج ٨٠، ص ١٠.
- (٥٨) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٠٣.
- (٥٩) المصدر، ج ٢٣، ص ٢٩٤.
- (٦٠) المصدر، ج ٢، ص ٢٠٢.
- (٦١) المصدر، ج ٣٦، ص ٣٣٦.
- (٦٢) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٨٩.
- (٦٣) المصدر، ج ٢٥، ص ١٢٣-١٢٤.
- (٦٤) المصدر، ج ١٢، ص ٩٠.
- (٦٥) المصدر، ج ٢٣، ص ٣٠٨.
- (٦٦) تحف العقول، ص ١٨٠-١٨١.
- (٦٧) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٣٤.
- (٦٨) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥١٧.
- (٦٩) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٣١٢.
- (٧٠) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٣٩٤.
- (٧١) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٣٧-٣٨.
- (٧٢) تحف العقول، ص ٥٧.
- (٧٣) غرر الحكم، ص ٢٨٨.
- (٧٤) المصدر، ص ٥٠٤.
- (٧٥) تحف العقول، ص ٥٧.
- (٧٦) نصح البلاغة، حكمة رقم ٤٤.
- (٧٧) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٤٢.
- (٧٨) تحف العقول، ص ٤٠.
- (٧٩) غرر الحكم، ص ٢٠٤.
- (٨٠) تحف العقول، ص ١٨٣.
- (٨١) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٢١٨.
- (٨٢) غرر الحكم، ص ٣٨٣.
- (٨٣) تحف العقول، ص ٤٥.
- (٨٤) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٢٦٧.
- (٨٥) بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٧٦.
- (٨٦) المصدر، ص ٤٧.

-
- (٨٧) غرر الحكم، ص ١٤٠.
- (٨٨) المصدر، ص ١٤٠.
- (٨٩) المصدر، ص ١٤٦.
- (٩٠) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٦٣-٥٦٤.
- (٩١) ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٤٧٥، الرواية رقم ١٣٥٢٨ ، عن كنز العمال ، ح ٢٩٠٨٤
- (٩٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥٤، الرواية ٢٥.
- (٩٣) بحار الأنوار، ج ٢، ص ١١٠، الرواية ٢٢.
- (٩٤) المصدر، ج ٧٤، ص ١٣٨، الرواية رقم ٧
- (٩٥) المصدر، ج ٢، ص ٨٩.
- (٩٦) المصدر، ص ٣٦، الرواية ٣٨.
- (٩٧) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٧، الرواية ٥.
- (٩٨) المصدر، ص ٤٩، الرواية ١٠.
- (٩٩) المصدر، ص ٥٢، الرواية ١٨.
- (١٠٠) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥٦، الرواية ٣٤.
- (١٠١) المصدر، ص ٤٨، الرواية ٨.
- (١٠٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥٢، الرواية ٥.
- (١٠٣) المصدر، ص ١٦، الرواية ٣٥.
- (١٠٤) المصدر، ص ١٩، الرواية ٤٩.
- (١٠٥) المصدر، ص ٢٣، الرواية رقم ٧١.
- (١٠٦) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥، الرواية ٩.
- (١٠٧) وسائل الشيعة، ج ١٨، ابواب صفات القاضي، الباب ٨، ص ٥٣، الرواية ٢.
- (١٠٨) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٤٣، الرواية ١٠.
- (١٠٩) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٤٤، الرواية ١٣.
- (١١٠) المصدر، ص ٨٨، (من حديث مطوّل حول الفقهاء).
- (١١١) ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٥٨٥، الرواية رقم ٢١٨٩٩.
- (١١٢) بحار الأنوار ، ج ٧٥، كتاب الروضة، ص ٢٦٩.
- (١١٣) المصدر، ص ٨٠، الرواية ٦٦.
- (١١٤) شرح نصح البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٣٦.
- (١١٥) الكافي ، ج ١، ص ٢٢.
- (١١٦) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٠٩، نقلاً عن رجال الكشّبي.
- (١١٧) بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٠٦، الرواية ٣.

- (١١٨) المصدر، ص ١٠٧، الرواية ٧.
- (١١٩) نخب البلاغة، رسالة رقم ٥٣.
- (١٢٠) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٩٨، باب وجوب الرجوع في القضاء والفتوى الى رواة الحديث، ح ١.
- (١٢١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٣٩، ص ١٤.
- (١٢٢) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٠٠، ح ١٦.
- (١٢٣) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٦ و ٣٨.
- (١٢٤) المصدر.
- (١٢٥) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٤.
- (١٢٦) المصدر، ص ٩٨.
- (١٢٧) المصدر، ص ١٠٥.
- (١٢٨) المصدر.
- (١٢٩) ليس المقصود ب (التقليد) هنا محاكاة اعمال وتصرفات الغير دون وعي وإدراك، فهذا عمل مذموم عقلاً وشرعاً، إنما تعني الكلمة هنا: الاتباع الواعي والبصير للعالم الذي تجتمع فيه شروط معينة يحكم بها العقل والشرع ويثق به الانسان فيجعله قائداً لنفسه في الحياة.
- (١٣٠) أي الذي يريد ان يقلده جديداً بعد وفاته ، لا من كان يقلده قبل الوفاة ويريد الآن الاستمرار على تقليده السابق.
- (١٣١) الفتوى. تعني: الرأي الفقهي الذي يستنبطه المجتهد من المصادر الشرعية فيما يتعلق بمسألة معينة.
- (١٣٢) وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٤٣٠، الباب ٤٤، احكام الوصايا، ح ٨.
- (١٣٣) المصدر ج ١، ص ٣٢، الباب ٤، ابواب مقدمات الصلاة، ح ٩.
- (١٣٤) المصدر، ح ١٠.
- (١٣٥) المصدر، ص ٣١، الباب ٤، ح ٦.
- (١٣٦) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٤٧٦، الباب ٧ ح ٢٣.
- (١٣٧) المصدر، ج ١٣، ص ٤٣١، الباب ٤٤ في أحكام الوصايا، ح ١٢.
- (١٣٨) المصدر ج ٨، ص ٣٠، الباب ١٢، من ابواب وجوب الحج، ح ٢.
- (١٣٩) المصدر، ج ٣، ص ٢٩٦، الباب ٢٨، لباس المصلي، ح ١٣.
- (١٤٠) المصدر، ج ١٢، ص ٢٦٨، الباب ١٤ ابواب عقد البيع وشروطه، ح ١.
- (١٤١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٢، الباب ٤، من ابواب مقدمة العبادات، ح ١٢.